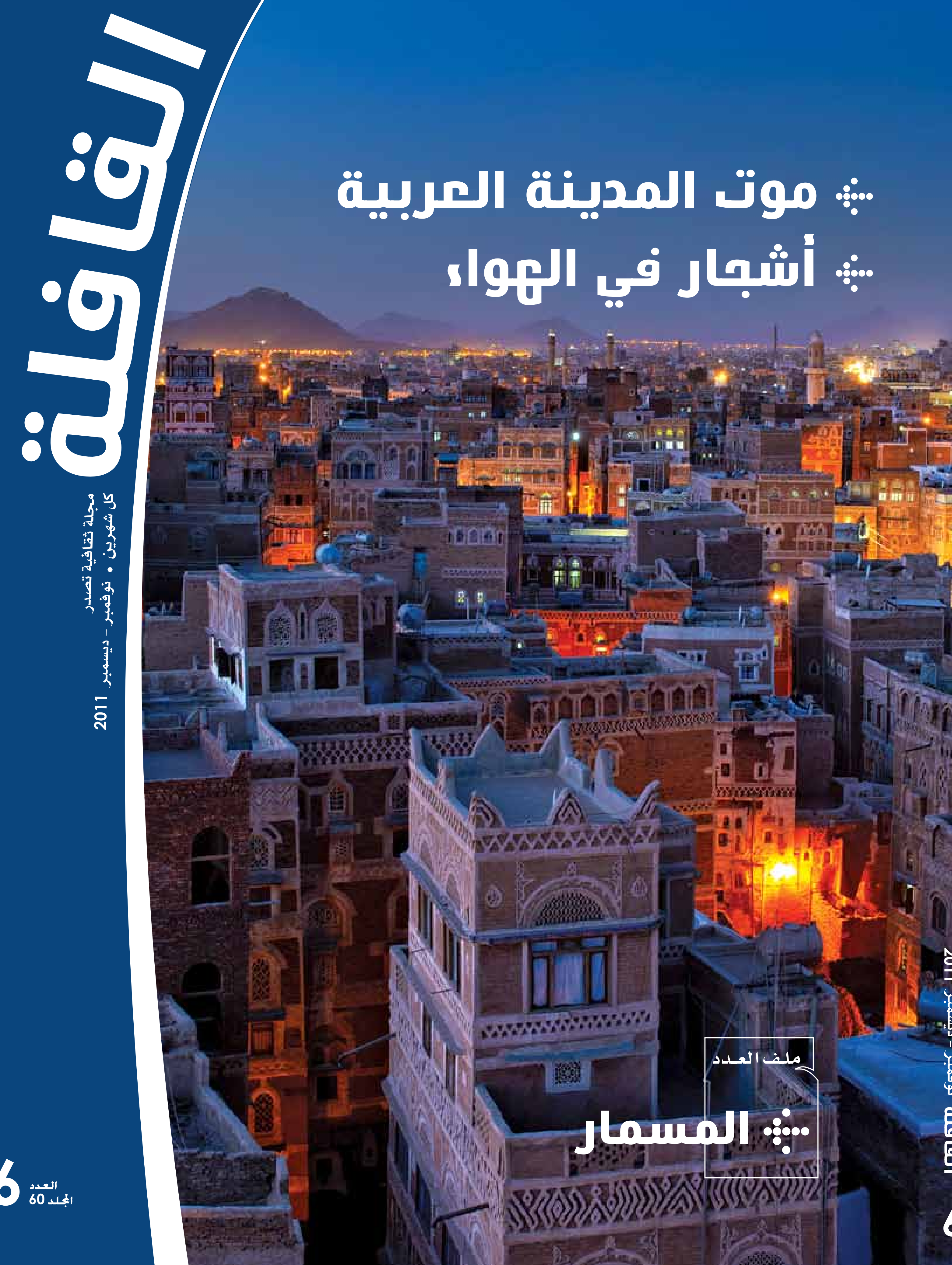
القافلة

مجلة ثقافية تصدر
كل شهرين • نوفمبر - ديسمبر 2011

العدد 6
المجلد 60



موت المدينة العربية
أشجار في الهواء

ملف العدد
المسمار



تنظِّم مجلة **القافلة** نشاطاً بحثياً غرضه إشراك الباحثين الراغبين، لا سيما طلاب الجامعات وطالباتها، بإجراء أبحاث ميدانية متعمقة في موضوعات تقترحها المجلة أو يقترحها المتقدمون أنفسهم. وتهدف هذه الخطوة إلى كتابة موضوعات تتجاوز المقال العادي، وتحقق الشمول والإحاطة بزوايا الموضوع المطروح كافة، لتقديمها في النهاية على شكل مواد صحافية جادة تتمتع بعناصر الجذب والتشويق الصحفي.

للمشاركة في هذا النشاط البحثي يرجى مراسلة فريق تحرير القافلة على العنوان الإلكتروني التالي:
qresearch@qafilah.com

وذلك من أجل

- الاطلاع على قائمة الأبحاث المقترحة من المجلة.
- معرفة شروط اعتماد البحث وصلاحيته للنشر.
- الاتفاق على الموضوع، وتبادل الرأي حول محتوياته وآفاقه.
- تحديد عدد الكلمات وملحقات البحث.
- تعيين المهلة الزمنية للبحث والاتفاق على موعد التسليم.

بعد اعتماد البحث للنشر من هيئة تحرير المجلة، ستصرف مكافأة الباحث، حسب سلم المكافآت المعتمد لدى المجلة لكتَّابها.



هل أصبحت المدينة العربية مسخاً لا هوية له، هل مات إحساس الجمال في ضمير المدينة العربية.

القافلة



الناشر
شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
خالد بن عبدالعزيز الفالح

المدير التنفيذي لشؤون أرامكو السعودية
خالد إبراهيم أبوبشيت

مدير عام الشؤون العامة
ناصر عبدالرزاق النفيسي

رئيس التحرير
محمد الدميني

مدير التحرير
محمد أبو المكارم

إعداد وإنتاج



ص ب 65701 الرياض 11566
المملكة العربية السعودية
هاتف: 2128005 1 00966
فاكس: 4401367 1 00966

إحدى شركات



طباعة
شركة مطابع التريكي
e-mail: traiki@sahara.com.sa

ردمد ISSN 1319-0547

محطات العدد

نوفمبر - ديسمبر 2011
ذو الحجة 1432 - محرم 1433

قضايا 12-19
- صمت الواجهات..موت المدينة العربية 12
- قول في مقال: سوق عكاظ.. الشِعر أولاً..الشِعر آخراً 18

طاقة واقتصاد 20-27
- المناخ هل يعصف بالاقتصاد؟ 20
- من الرف الآخر.. اللغة المتوحشة 27

بيئة وعلوم 28-48
- صياغة الذهب.. 28
- زراعة الوجه..ملامح مسروقة 34
- زاد العلوم 37
- أشجار في الهواء.. 40
- قصة ابتكار: الكرة العائمة 46
- قصة مبتكر: ستيفن جوبز 47

الحياة اليومية 55-65
- حياتنا اليوم: الصديق ليس في وقت الضيق! 55
- هل أنت عاطفي أم عقلاني؟ 56
- أفكار مجنونة 60
  ابتكارات مع وقف التنفيذ
- صورة شخصية: محمد الشريف 64

الثقافة والأدب 66-86
- المرأة في التشكيل.. 66
- جوليان بارنز 74
  الإحساس بالنهاية 74
- ديوان الأمس واليوم: ابن خفاجة..صخب حياة وجنون موت.. 77
- بيانو على شرفة القلب 80
- مسرح البولشوي..يبعث من جديد.. 82

الملف 87-102
- ملف «المسمار».. 87



الفاصل المصوّر 49-54

توزع مجاناً للمشتركين
- العنوان: أرامكو السعودية
ص . ب 1389، الظهران 31311 المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: alqafilah@aramco.com.sa
الموقع الإلكتروني: www.qafilah.com

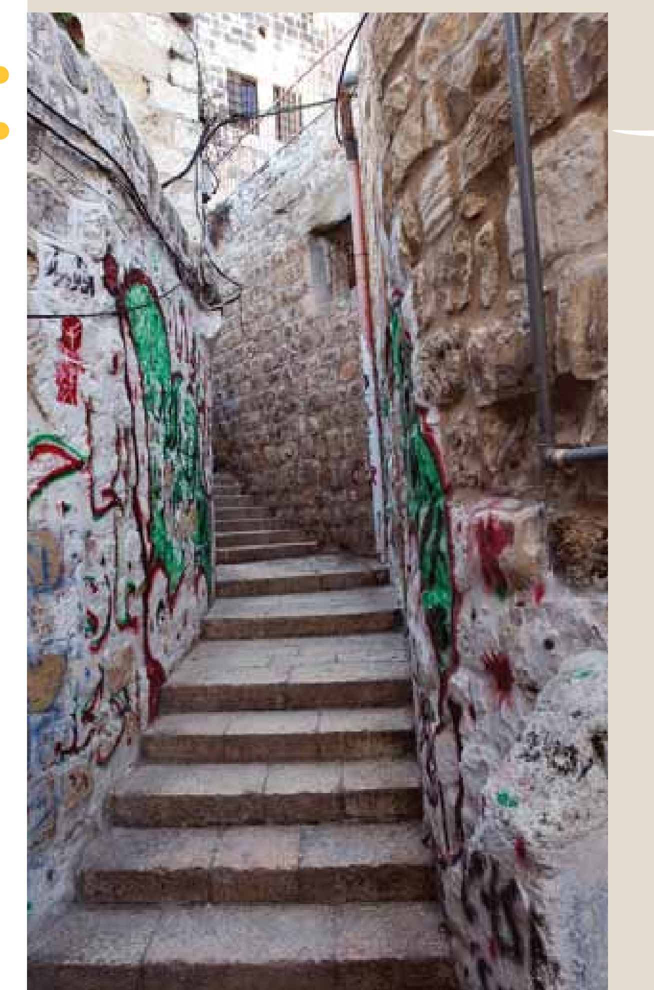
- الهواتف: فريق التحرير 00966 1 212 8005 Ext. 1754
00966 2 651 1333 Ext. 3612
00966 3 835 2065 • 00966 3 833 5749
البريد الإلكتروني: alqafilah@sspc.com.sa
الاشتراكات 00966 3 874 6948
فاكس 00966 3 873 3336

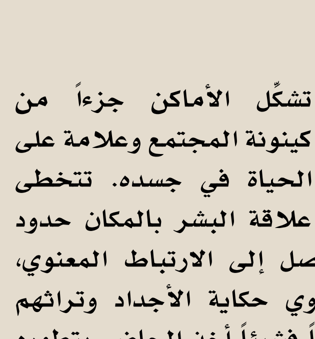
رسالة المحرر

1 قضايا

تشكِّل الأماكن جزءاً من كينونة المجتمع وعلامة على الحياة في جسده. تتخطى علاقة البشر بالمكان حدود الماديات لتصل إلى الارتباط المعنوي، فالبنيان يروي حكاية الأجداد وتراثهم العريق. شيئاً فشيئاً أخذ الحاضر بتطوره العمراني السريع ينتزع هوية الماضي من المدن ويحيلها إلى مساحات جوفاء الروح مصنوعة بقالب واحد.

تبحث **القافلة** في ملف قضايا عن سرِّ الصمت الذي ألمَّ بواجهات المدينة العربية، وتفتش بين جدران المدن المعاصرة عن جمال الماضي الضائع في سعي الشعوب الحثيث نحو العالمية.

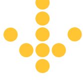


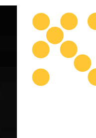


2 طاقة واقتصاد

في مناخ الطاقة والاقتصاد هناك موضوعان أحدهما عن التحدي القائم بين الاقتصاد والمناخ، حيث إن الخسائر الناجمة عن التغيُّر المناخي تتفاوت تبعاً لدرجة التقدُّم الاقتصادي للدول. فكيف يمكن تخفيض الآثار الاقتصادية لتغيير المناخ، وما كنه التحدي الذي يواجهه المجتمع الدولي؟

والآخر عن التحديات التي تواجهها صياغة الذهب، موضوع فن صياغة الذهب فن يواجه تهديد الآلة.







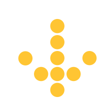
3 علوم وبيئة

ماذا لو فاجأك صديقك بملامح وجه جديدة مسروقة من الموتى، هل ستعرفه؟ هل من الممكن أن يستخلص النفط من حبة البرتقال؟ كيف للأشجار أن تزرع في الهواء من دون الحاجة إلى تربة تغذيها؟ عدد من الأسئلة المثيرة تجد لها جواباً في ملف بيئة وعلوم، وذلك من خلال موضوعاته.

الفاصل المصوّر



صور تستمد بهجة اللون من التراث، بين الزجاج والقماش والأبواب الملونة نبحر في عالم بسيط وساحر، وذلك من خلال صور للمهندس فواز شما. إن جمال اللون والتفاصيل يجعلنا نقف أمام اللقطات.



4 الحياة اليومية

بين صوت العقل الحكيم وصوت القلب الحاني يستمر الصراع ويكثر الجدل. بعضنا يطلق لعواطفه وأفكاره العنان، وبعضنا الآخر يتجاهلها ويقمعها. بين الإفراط والتفريط في عالم القلب والعقل، يفتتح ملف الحياة اليومية صفحاته الماتعة، وذلك من خلال موضوع: هل أنت عاطفي أم عقلاني؟! بعدها ربما وجد القارئ في موضوع أفكار مجنونة واختراعات قيد التنفيذ الإجابة عن هذا السؤال!



5 الثقافة والأدب

يمثّل الفن التشكيلي دور المرآة العاكسة للمرأة روحاً وجسداً، فأحياناً تكون المرأة كالقناع و أحياناً كالنافذة. عالم واسع تبحر **القافلة** على شطآنه قبل أن ترسو إلى إحساس النهاية الذي قاد الكاتب جوليان بارنز لنيل جائزة البوكر العالمية. كما تنتقل إلى روسيا لتحكي قصة صمود مسرح آسر للأنظار.







6 ملف العدد

يسلط ملف العدد الضوء على كائن مهمش، مهمل، صغير الحجم، إلا أنه جوهري الدور في حياتنا. تمكّن البطل المنسي أن يضع له، من دون أن نشعر، بصمات في التاريخ والهندسة والطب والأدب. لا يمكن للقارئ إلا أن ينظر إلى المسمار بعين الإجلال بعد تقليب صفحات مهمة في حياة هذا الكائن الفضي.

الرحلة معاً

لماذا نُهزم على جبهة السلامة المرورية؟

إذا كان العالم يدخل حروباً ويخرج منها منتصراً أو مهزوماً، فإننا ندخل منذ عقود من الزمن حرباً وحيدة نعرف كل أسبابها، ونعرف كل نواحي الظفر بها لكننا نخرج منها مهزومين دائماً.. وربما بالضربة القاضية..!

لنقل إنها حرب، هكذا قالت ريم أكبري، الأستاذة في كلية الهندسة بجامعة البحرين، وهي تعبر عن فجيعتها بما يحدث على طرقنا السريعة وداخل أحيائنا السكنية، فهناك 6500 نسمة يموتون كل عام، وأكثر من 36000 إصابة بين شديدة ومتوسطة وبسيطة، فيما يحتل مصابو الحوادث المرورية أكثر من 30 % من أسرّة المستشفيات.. هذه المعلومات المجردة من كل عاطفة لا تتضمن بالتأكيد جبال الآلام وأصناف المعاناة النفسية والعاطفية التي يتكبدها ذوو المتوفين والمصابين، وقد تصيب بعضهم بعاهات نفسية وعصبية لا يبرأون منها مدى حياتهم. وقد بينت بعض الدراسات أن ضروب تلك المعاناة يمكن قراءتها مالياً وبذلك فإنها تضيف هدراً اقتصادياً غير منظور.

أغلب البيانات عن الحالة المرورية التي تعيشها بلادنا شفافة، والحقيقة أن حجم ما يكتب وينشر من مطبوعات ونشرات وبوسترات في سبيل التوعية المرورية هو ضخم قياساً بالنتائج المتوخاة التي لم يتحقق منها سوى القليل حتى هذه الساعة، وهذا ما يجعل كل عائلة تعيش حالة استنفار دائم. فما أن يغادر الأبناء أو البنات منازلهم حتى تبدأ علامات القلق والوساوس، وسواء كان الأبناء يقودون سياراتهم أو أنهم بصحبة زملائهم أو مع سائقينا المستقدمين فإن هاجس السلامة يندلع بمجرد سماع سيارات الطوارئ أو الإسعاف العابرة من شارع بعيد أو قريب..! هناك إذن رعب يخيّم فوق كل بيت، فهل تنفع الندوات والمؤتمرات في التقليل منه؟!

في الدمام، انعقد أول ملتقى للسلامة المرورية (12-13 ديسمبر 2011م) لدراسة كل قضايا وشؤون السلامة المرورية. كان الملتقى ثرياً وقدم جملة من الأبحاث المهمة التي درست بعلمية ومنهجية واضحة كل ما يتعلق بالأزمة المرورية لا في المملكة فقط، بل في دول عربية عدة. وكان لافتاً أن القاعة التي نظم فيها الملتقى قد احتشدت طيلة يومين بحضور كبير بينهم رجال أمن وطلاب وموظفون وموظفات ومهتمون ومهتمات بالشأن المروري، وهو حضور جسّد القلق وأحياناً اليأس من تردي الحالة المرورية.

بدا الجميع وكأنهم يبحثون عن خشبة إنقاذ.. عن أمل أو ما يشبهه..! هناك ورقة مهمة تضمنت خطة استراتيجية وطنية للسلامة المرورية، أتت من مدينة الملك عبدالعزيز



للعلوم والتقنية وقدمها د.عبدالرحمن العبدالعالي. الورقة مكثفة وشاملة ناقشت مشكلات الوضع الراهن بما فيها الأنظمة والتشريعات المرورية ونقاط الإخفاق، والسلوكيات المرورية، وضعف الخدمات الإسعافية والعلاجية، ووضعت الحلول التي لن تتمكن إدارات المرور وحدها من تحقيقها بل بمؤازرة الإدارات الأخرى كأمن الطرق والنقل والبلديات والصحة، يضاف إلى ذلك الدور التوعوي الذي يلزم وزارتي الإعلام والشؤون الاجتماعية القيام به.

الشراكة مع مؤسسات خدمة المجتمع بما فيها القطاعان التجاري والاقتصادي ينبغي أن تضطلع بجزء من هذا الحل، وهناك ورقة من جامعة كراتشي قدمت نموذجاً للشراكة بين القطاعين العام والخاص بما فيها الشركات المصنعة (أو المستوردة لها كما في حالتنا)، فكل هذه الجهات أطراف فاعلة في العملية المرورية، وعليها أن تدفع حصتها مادياً ومعنوياً لمواطني بلدها.

في هذا السياق، فقد تدخل شركات الاتصالات مستقبلاً في صناعة الحل بحيث تسخر بعض فوائضها المالية في خدمة السلامة المرورية، فقد أظهرت دراسة أن 70-80% من السائقين في الولايات المتحدة يستخدمون هواتفهم الجوالة في أثناء القيادة. وقد تفوق هذا العنصر على العناصر التقليدية التي تصرف انتباه السائقين عن القيادة. وأمام هذه النسبة في دولة متقدمة فإن علينا أن نخمن نسبة استخدام الهواتف الجوالة بين سائقينا؟!

هناك إحصائيات عديدة حفل بها الملتقى وكشفت عن أزمة سلامة مرورية حقيقية لكن أكثرها ألماً هو: أن حوالي 80% من ضحايا الإصابات المرورية تقع في الفئة العمرية (20-30 سنة)، وأن 48% من مجمل الإصابات في المملكة هي إصابات تقع على الطرق والشوارع داخل المدن وخارجها، وأن الحالة الطبية الإسعافية لمباشرة الحوادث ضعيفة، وأن النتيجة المفجعة لهذا الضعف هي أن 90% من المصابين يتعرضون للوفاة في موقع الحادث، ومجمل الحوادث السنوية (التي تعد الأعلى عالمياً) تخلف 12000 حالة وفاة ونحو 33000 إعاقة دائمة، وأنها تقتطع من اقتصادنا الوطني 21 مليار ريال سنوياً، أي ما نسبته 4% كفاقد، وهذا نزيف اقتصادي ضخم حين نقارنه بالنسب المماثلة في الدول الصناعية التي لا تتجاوز 5.1 %.

إلى أين نسير إذن والإحصائيات التي بين أيدينا تشير إلى أن كل الأرقام التي أوردتها للتو هي مرشحة للازدياد؟
الأرجح أننا لن نتقدم في هذا السجل إذا لم تقنع كل الجهات الرسمية والخاصة وأفراد المجتمع أننا أمام تهديد وطني، وأن هناك حاجة إلى تغيير ثقافتنا حول المسألة المرورية كلها، هذا التغيير لا بد أن يبدأ في مراحل الدراسة الدنيا ويتقدم عبر المراحل الدراسية العليا. أيضاً فإن على البرامج الاستراتيجية المرورية أن تضع أهدافاً واضحة وخططاً زمنية محددة تقلص فيها الخسائر البشرية والمادية. وهنا يلاحظ الباحث حسن الأحمدي أن معدل وفيات الحوادث المرورية في المملكة يفوق جميع الدول المقارنة، ويستشهد بكوريا الجنوبية التي كان معدل الوفيات فيها في عام 1999م (2.23) وهو رقم مقارب لمعدل المملكة (4.24)، لكن خطتها الصارمة لخفض وفيات الحوادث أفضت إلى خفض معدل الوفيات ليصل إلى (2.13) أي بما نسبته 40%، فيما زادت النسبة في المملكة لتصل إلى (2.25).

وإجمالاً لا بد أن يتبدل فهمنا لمسألة الوقت ووظيفته والتخطيط له في حياتنا اليومية فنحن لا نعرف لماذا نبدد الساعات الطويلة أمام التلفاز أو الإنترنت لكننا نبخل بها حين يتعلق الأمر بحياتنا وحياة أجيالنا وأمنهم الشخصي في الشوارع والطرقات..!

والخلاصة أن الجميع ينشد الحل.. لكن الإحصائيات تشير إلى أنه ما زال عسير الولادة..!

رئيس التحرير



قافلة القرّاء

نافذة جديدة في بريد القافلة لكتابات تناقش موضوعات طُرحت في أعداد المجلة فتكون أكثر من رسالة وأقل من مقال.

قرَّاء القافلة مدعوون إلى الإسهام في هذا النقاش على أن تكون كلمات المشاركة بين 300 و600 كلمة، مع احتفاظ فريق التحرير بحق الاختصار إذا دعت الحاجة إلى ذلك.





العطور في التراث العربي والإسلامي

العطر لغةً اسم جامع للطيب، وترد كلمة الطيب مع العطر. والجمع عطور، والعطّار بائعه، وحرفته العطارة، ويقال رجل عاطر ومعطر ومعطير ومعطار، وامرأة عطِرة ومعطرة، قال الشاعر:

علق خوداً طفلة معطارة

إياك أعني فأسمعي يا جارة

ومن أنواع العطور العربية:

1 - العطور الحمضية

تستخرج أغلب هذه العطور من الليمون والبرتقال والبرغموت، وتتميز بقوتها وقدرتها على الإنعاش والتنبيه، وهي مثالية لترطيب الجسم، وتناسب كثيرًا ذوي البشرة الدهنية ممن تتضوَّع العطور عليهم بعبير زكي للغاية.

2 - العطور الزهرية

تتضوع العطور الزهرية بعبق الزهرة الواحدة، وهي غالباً عطور خفيفة ومنعشة، وبعضها قد يكون بالغ العذوبة.

3 - عطور النباتات الخضراء

تتميز هذه العطور بنضارتها ونقائها، فالزيوت المستخلصة من خشب الصنوبر والأرز وغيرهما من الأخشاب العطرية عذبة الرائحة، إنما تمزج مع الطحالب والحشائش وسيقان الزهور والسرخس.

4 - العطور الزكية «الحلوة»

قد تكون العطور زكية الرائحة فوّاحة للغاية، حيث إنها تتكون من مزيج من خلاصات القرفة والفانيلا، فضلاً عن الزنجبيل في بعض الأحيان جنبًا إلى جنب مع عبير الأزهار البعيدة عن المألوف.

5 - العطور الشذية

معظم العطور الشذية هي عبارة عن مزيج زهري من الزهور النفاذة مثل الياسمين والنرجس والقاردينيا وزهور اللافندر والليلك وغيرها، ولهذه العطور أريج بالغ القوة، لا سيما إذا كان جلد المتعطر بها يميل إلى جعلها أكثر عذوبة وتأثيرا.

6 - العطور الشرقية

هذه العطور بالغة القوة في الأثر، وهي مستمدة من الأخشاب والأعشاب الشرقية الفواحة مثل خشب الصندل وهي مثقلة بشذا المسك والعنبر وغيرهما من العطور ذات الأصل الحيواني، وتعد العطور الشرقية أكثر العطور إثارة، ومسألة اختيارها وتفضيلها تتبع الذوق الشخصي.

7 - العطور الحديثة

ابتكرت العطور الحديثة على مدى فترة تراوح بين خمسين وستين سنة مضت فقط، وهي تستخدم في الأساس زيوتًا اصطناعية، وهي عبارة عن منتجات بالغة التعقيد يتم توليفها في المختبرات الكيميائية ويستعان في صناعتها بحاسة الشم القوية لدى الخبراء، وتتميز بأنها ليس فيها محاكاة للطبيعة، وتتميز بنفاذة شذاها، وهي غالبًا ما تتيح عمقًا وتركيزًا تعجز عن تحقيقهما العطور الطبيعية لوحدها، والكثير من هذه العطور الحديثة تحتوي على درجات عطرية من عدة فئات، ولكنها بوجه العموم مرطبة وباعثة على البهجة، وتناسب كثيراً حياة النشاط العصرية.

ومن أهم النباتات العطرية العربية

1 - نبات الآس

من أهم النباتات المعروفة بأرض العرب منذ عصور موغلة في القدم، طيب الرائحة، وقد تردد ذكر الآس في النصوص المسمارية والجداول النباتية منذ الألف الثالث ق.م، وذكرت له استعمالات طبية عديدة، واستخرج منه العطر الذي أطلق عليه اسم «زيت الآس» وكان اليونانيون والرومان يقطعون الآس ويستعملونه للزينة في الولائم الكبيرة والأعياد والأفراح، فهو عندهم رمز الحب والمودة. وقد وجدت بعض أوراق الآس وأزهارها محفوظة في توابيت المصريين.

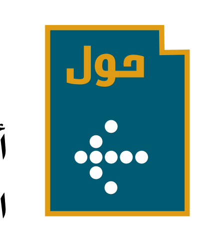
وعطر الآس أو ماء الآس عرفه العرب معرفة جيدة، وذكر تحضيره في أغلب كتبهم الطبية، ذكره ابن سينا وابن البيطار والأنطاكي وغيرهم، وقد أسهبوا في تعداد فوائده الطبية واستعمالاته. ومما قاله ابن سينا «ورق الآس يطيب رائحة البدن، وبزره يتمضمض به يقتل الدود المتولد في الأسنان «التسوس».

2 - نبات الخزامى

الخزامى نبت طيب الريح واحدته خزماه، كما ورد في لسان العرب. وهو عشبة طويلة العيدان، صغيرة الورق، حمراء الزهرة، طيبة الريح، لها نور كنور البنفسج. ويقال للخزامى «خير البر» لأنه أزكى نبات البادية، وزهره أطيب الأزهار يتمثل به في الطيب. والخزامى جنس نبات من الفصيلة الشفوية. والعطر المستخرج من نبات الخزامى من العطور الجيدة، ويكثر استعماله عند الشعوب كافة، ويدخل في تحضير أنواع مختلفة من العطور المركبة، وهو مادة أولية أساسية في تحضير العطر الشائع الاستعمال في كل العالم (الكولونيا) (Eau de Cologne) وكذلك يدخل الخزامى في صناعة مواد التجميل والرذاذات «بودرة» وصناعة الصابون الجيد وغيرها.

سهير الشاذلي-قرية دمشيت ، طنطا، مصر.

• تعقيبًا على ملف القافلة «العطر» في العدد2 من المجلد 60



أطفالنا وشاشة التلفاز

يُعَدُّ التلفاز أداة مثيرة ومشجعة للنمو اللغوي، حيث يقلل من الفروق في القدرة اللغوية بين الأسر ذات المستويات المختلفة. كما يجد معظم الأطفال في البرامج التلفازية الراحة والاسترخاء، والتسلية بما يبثه من قصص وحكايات ومسابقات تحقق الطموح وتلبي الرغبات، كما يسهم ببرامجه الدينية والثقافية في بناء الشخصية وتنميتها.

يساعد التلفاز على الإسراع في نمو عقلية الأطفال بما يعرضه من معارف ومشكلات كثيرة عن عالم الكبار، كما يفتح المجال لإثارة موضوعات حيوية تناقش، فيما بعد، على مختلف الأصعدة. كما يسهم في تقريب الطفل إلى البيئات البعيدة عن بيئة الطفل، كالصحراء أو البحر، مثلاً، ويفسر للطفل بعض الظواهر الطبيعية كالبراكين، وينقل التراث الحضاري والمكتشفات الجديدة، كما يؤثر في مفهوم الأطفال عن الوظائف والأعمال، ويثري معلوماتهم عنها، ويسهم في تعليم المهارات الجسدية. إلا أن للتلفاز آثاراً سلبية يجب على الأسرة الحذر منها وتظهر في هذه النقاط:

- المسلسلات التلفازية العنيفة تولد العنف لدى الأطفال، والواقع أن البرامج المقدَّمة للأطفال غالباً ما تطغى عليها مشاهد العنف، وتكون المشكلة أكبر في مسلسلات العنف المبطن بالخيال، حيث يجلس الأطفال بكامل قابليتهم لمشاهدة شلال من الصور المتلاحقة المتسمة بالمواقف الحاسمة والشخصيات المتصارعة، ضمن هدير لا ينتهي من الموسيقى الضاجة التي تضيف إلى العنف عنفاً، وإلى التغريب تغريباً، فلا يقوم الأولاد من كابوسها إلا وقد أرهقت أعصابهم وانبهرت عيونهم وصمَّت آذانهم.
- الطفل يتفاعل مع الإعلانات التلفازية، ما يجعل من الأطفال مستهلكين بالفطرة. والإعلانات التجارية تزعج الكثيرين بما تنطوي عليه من الإغراء والإغواء، ولنجاحها في إقناع الأطفال بشراء سلع.
- التلفاز ووقته يؤثر في أوقات النوم لدى الطفل، ويستقطع من الوقت المخصص للواجب المدرسي، كما يقتطع من وقت اللعب. واللعب، كما هو معروف، يفيد الطفل في بث روح الجماعة في روعه، وغرس معنى الاجتماع والمشاركة الجماعية، وهذا يمنحه الخبرة اللازمة للتعامل مع الآخرين، والانخراط في مجتمعات جديدة من دون عناء عندما يدخلها للمرة الأولى.
- إنَّ أثر التلفاز في البيئة، من حيث آثاره الجسدية والفيزيولوجية والنفسية، يكاد يكون من أخطر أنواع التلوث وأشدها إيلاماً وأكثرها تغلغلاً في النفوس. وقد أثبتت الدراسات أن بقاء الطفل أمام الشاشة ساعات طويلة يعرض صحته للخطر ويرهق جسده ويؤثر في قوة إبصاره.
- جلوس الطفل أمام التلفاز في سكون غريب لا تفاعل فيه، ما دعا بعض علماء النفس إلى وصف الأطفال من هذا النوع بـ«موتى التلفاز الأحياء».
- التلفاز قد يصرف بعض الأطفال عن القيام بالنشاطات الاجتماعية المفيدة، وهو ما يغرس فيهم روح الاتكالية.
- تحدث البرامج التلفازية آثاراً سلبية في نمو الطفل من الناحية الانفعالية، لا سيما في تلك البرامج التي تكون معدة أساساً للكبار.
- بعض المواد الثقافية المستوردة قد تعمل على اهتزاز القيم والمفاهيم، وقد تؤدي إلى تغيير أنماط الحياة والسلوك، وقد تتعارض مع برامج التنمية الاجتماعية.
- الشاشة الصغيرة عندما تقدم للطفل كل شيء جاهزاً ومرسوماً ومصوراً، فإنها تمنعه من إعمال فكره وإطلاق خياله، كما أنَّ الإنتاج المقدَّم للناشئة على الشاشة يكون غالباً بشكل مشوه وبعيد عن الحقائق، وتقديم برامج غير هادفة في كثير من الحالات.
- اللغة المستخدمة في برامج الأطفال غالباً تكون ضعيفة المستوى.
- الأطفال الذين يشاهدون التلفاز مدة ست ساعات في اليوم، أو حتى ثلاث ساعات، هؤلاء الأطفال يحرمون مما يمكن أن نعده: لهو الطفولة البريء.

ورغم وجود هذه السلبيات فإنه يمكن تلافي الكثير منها بالانتقائية ومراعاة القدرات العقلية للناشئة، وانتقاء مذيعين يمتازون بطلاقة ثقافية ولغوية عالية وقدرات متميزة. والأبحاث في هذا الميدان تقتضي استمرار المتابعة. فإذا كانت التربية متينة وقوية وذات أسس سليمة تركز على عقيدة صالحة خالية من الشوائب، فإنَّ أثر القنوات سيكون أقل تأثيراً.

مسؤولية الكبار

إذا كان الطفل يتشرب العادات والقيم والتقاليد في مقتبل حياته من أسرته قبل أن يواجه المجتمع الكبير، فإن هذا يلقي عبئاً ثقيلاً على الأسرة، حيث تصبح مسؤوليتها بالغة: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». ومن هنا فإنَّ التنشئة الصحيحة في الأسرة ينبغي لها أن تهتم بجانب القدوة قولاً وعملاً، وأصغر خلية اجتماعية تقوم بالمهمة الأولى للتربية هي الأسرة. والتربية عملية عامة لتكييف الفرد، ليتلاءم مع تيار الحضارة، وبهذا تكون التربية عملية خارجية يقوم بها المجتمع لتنشئة الأفراد حتى يسايروا المستوى الحضاري العام.

ويمكن لبرامج الأطفال أن تعاون الأسرة في تنشئة الأطفال اجتماعياً، وذلك بمساعدة الأطفال على التعرف إلى المبادئ والقيم والعادات الاجتماعية التي يمتاز بها مجتمعهم، وأن يراعى في تقديمها اتباع المواقف الدرامية البسيطة أو القوالب الترفيهية التي يسهل على الطفل استيعابها. وإنَّه لمن الأجدى أن نمنع الأطفال من مشاهدة البرامج العنيفة المثيرة، وأن ندعوهم إلى مشاهدة البرامج العلمية والاجتماعية والترفيهية التي تعكس في نفوسهم حب المعرفة، وتساعدهم على السير في دروب الخير والسلام.

إن الطفل الذي اعتاد أن ينصرف من المدرسة فينهي واجباته المدرسية، ثم يجلس أمام التلفاز مع مشاركة الأهل في انتقاء البرامج الجيدة والمكان الجيد للمشاهدة، هو أقدر على تحديد هدفه، وهو في الوقت نفسه طفل مثابر. وبتفاعل الأبعاد الفيزيولوجية والاجتماعية والتاريخية تبدأ شخصية الطفل بالتشكل. من هذا المنطلق يمكن أن نوظف ما يعرض من مشاهد في التلفاز لنعطي أبناءنا معنى لما يشاهدونه، بحيث نرسخ لديهم مفهوم الحق وأهمية التضحية.

وأوضحت دراسة علمية أنَّ ثمة ارتباطاً مباشراً بين ساعات المشاهدة التي يقضيها التلميذ أمام التلفاز والدرجات التي يحققها، فكلما زادت ساعات المشاهدة انخفضت الدرجات. من أجل هذا يترتب علينا ألا نغفل عن تقديم التوعية والتوجيه اللازمين لإكساب المواقف الإيجابية.

علاء الدين حسن

قافلة القرّاء

إلى.. رئيس التحرير

ترحِّب القافلة برسائل قرائها وتعقيبهم على موضوعاتها، وتحتفظ بحق اختصار الرسائل أو إعادة تحريرها إذا تطلب الأمر ذلك.

تغيير عنوان

أتقدم لكم بوافر التقدير على ما تبذلونه من تطوير في هذه المجلة العزيزة على قلوبنا، التي يجد فيها القارئ تنوعاً في موضوعاتها الجميلة. وحيث إنني من المشتركين القدامى، وقد تغير عنواني البريدي، يسعدني أن يتم التعديل. كما أشكر لكم استمراركم بإرسال القافلة طيلة السنوات الماضية.

أحمد هاشم القُصير- الرياض

القافلة: نشكرك على إطرائك يا أخ أحمد، وسنحوّل عنوانك البريدي الجديد إلى قسم الاشتراكات.

مشترك قديم

كنت مشتركاً قديماً في مجلة القافلة، وذلك منذ عام ١٣٧٦هـ. وكانت تصلني بانتظام منذ كُنت أعمل في ميناء جدة، ولقد تغيَّر مكان عملي، ثم تقاعدت. ورغم ذلك كانت مجلة القافلة تصلني باستمرار حيث كنت متابعاً لها.إلا أنها انقطعت منذ مدة. أرجو منكم التكرم بإرسالها لي من جديد.

عبدالعزيز صالح العثيمين- جدة

القافلة: يسعدنا كثيراً أنك من القراء القدماء للقافلة، وسنتأكد من وصول المجلة.

منذ 48عاماً

كلي عتب على مجلة القافلة، فهذه هي المرة الخامسة التي أكتب فيها لكم، وذلك بخصوص انقطاع إرسال المجلة إلي. مع العلم أن اسمي مدرج ضمن قائمة المشتركين منذ عام ١٣٨٤هـ. وقد طلبت أن تدرجوا اسمي ضمن قائمة المشتركين الجدد. أتمنى هذه المرة أن يجد طلبي أذناً مصغية. كما أود أن أحيطكم علماً بأن عنواني البريدي لم يتغير.

محمد البقشي- الهفوف

القافلة: نعتذر لك عن هذا التأخير، كما نعدك بعودة المجلة لك من جديد.

بخط اليد على الورق

كتبت بخط اليد وعلى الورق لأنه الأعمق شعوراً كما جاء ذات مرة في أحد مواضيع مجلتكم. إن ما دعاني للكتابة أعادني أكثر من عشرين عاماً عندما كنت أنقل من مجلة قافلة الزيت أروع البحوث أيام دراستي، وكانت وما زالت مقالاتها من أفضل المقالات وأقواها. إلا أن المقالات الإسلامية أقل حضوراً، لذا أتمنى أن يكون هذا الجانب بقوة التقارير العلمية نفسها التي تُنشر في القافلة.
كما أشكركم على إعادة إرسال المجلة للمتقاعدين من أرامكو.

أمينة الغامدي

القافلة: شكراً لك يا أخت أمينة على هذه الملاحظات التي سنأخذها في الحسبان.

أسرتي ومجلة القافلة

وصلتني مجلة القافلة لشهري يناير وفبراير ٢٠١١ م، كآخر عدد يصلني، لذا أرجو التكرم بمواصلة إرسال المجلة لي، فهي تعد مكتبة عائلية، إذ تحتوي على أبحاث الطب وعلوم الاقتصاد والتقنية، كما لا تغفل عن الشعر العربي المعاصر والقديم. إن القافلة كانت دوماً نهر الفائدة، إذ يستفيد منها أبنائي، كما تفيد أصدقاء العائلة. فرجاء التكرم بالمواصلة في إرسالها، وكل الأمل ألا نحرم هذه المجلة الرائعة.

علي إبراهيم القاضي- مصر- القاهرة

القافلة: يسرنا أن نستمر في إرسال المجلة لك، فهي لك ولأسرتك ولأصدقاء العائلة أيضاً.

صديق من إندونيسيا

يسرني أن أعرفكم بنفسي، و أتمنى أن تجد رسالتي تفاعلاً لديكم. اسمي Syafruddin وأدرس في قسم اللغة العربية في الجامعة الإسلامية في العاصمة الإندونيسية، جاكرتا، وقد وصلت إلى السنة الرابعة. أنا مهتم جداً بكل ما تنشره شركة أرامكو من مجلات وأخبار ومعلومات، وأسعى لاقتنائها.
لا تقتصر فائدة مجلة القافلة على مساعدتي على تخطي الصعوبة اللغوية التي أواجهها في دراستي، بل أيضاً ستزيد من ثقافتي.
أرجو منكم إيضاح طريقة الاشتراك وتزويدي بأي معلومات أخرى مطلوبة. هل من الممكن أن تقوموا بإرسال بعض النسخ المجانية من المجلة إلى عنواني البريدي المرفق؟
وأخيرًا، أشكركم للطفكم وأقدر جهودكم وتعاونكم. سأكون بانتظار وصول مجلتكم، فهي من أكثر المجلات التي أتوق لقراءتها. أود الاعتذار عن ركاكة لغتي، فأنا ما زلت طالباً.

Syafruddin

القافلة: نرحب بك صديقاً، كما نعدك بوصول المجلة إليك على العنوان الذي أرفقته لنا.



الاغتراب في إكليل الخلاص



من يقرأ إبداعات الكاتب محمد المزيني عليه أن يتخلى عن تصوره المسبق في البحث عن قصة ذات بناء كلاسيكي تتوافر فيه المقدمة والعقدة والحل المريح.
تلك أقانيم كرستها رواية القرن التاسع عشر بأقلام المؤسسين من أعلام الرواية العالمية، تجاوزها التاريخ الفني.
الرواية الجديدة ركبت أمواج الحداثة وأبحرت في تقنية التفكيك والحذف، وإعطاء المتلقي فسحة التأويل والمشاركة وتعبئة الفراغات التي يتركها الكاتب في نصه عن قصد وتصميم.

ليس غريباً أن نجد بعض من تابعوا نتاجات المزيني يشيحون بوجوههم، معلنين تذمرهم عن عدم وجود قصة في النص، بل يذهب بعضهم إلى أن النص معقّد ومغلق وغير مفهوم، مرجعين السبب لضعف في أدوات الكاتب وليس لرقيّ فنية المعالجة وتميزها. والواقع أن تقنية الرواية تتمثل في حبكات متداخلة كثيرة، ومغامرة فنية ليست من ذلك النوع الذي يعطي مفاتيحه للمتلقي بسهولة ويسر، بل يحتاج إلى تركيز في التلقي ويتطلب آلية ومرانًا على البحث فيما وراء النص والمحذوف بين سطوره.

من خلال تعاطينا مع ما وقع بين أيدينا من نصوص الكاتب، وجدنا خطاباً رئيساً تحمله النصوص مع اختلاف زاوية الرؤية وبؤرة الالتقاط في كل نص، وإن تقاطعت جميعاً في الحفر في طبقات قاع المدينة (الرياض)، وأعملت رفشها في كشف أوجاع ساكنيها من المهمشين وأصحاب الجنسيات الوافدة، متخذة تلك النصوص، و«إكليل الخلاص» موضع المراجعة، من التفكيك وسيلة للحفر والكشف والتعرية، ليصبح مجمل النص المركّب، بحركة شخوصه وتقاطعات الأحداث فيه، تعبيراً صادقاً عن انعكاسات وإفرازات ومكبوتات تكشف عن علاقات غير سوية بالآخر والمكان والمرأة.

من هنا كان محور الغربة والاغتراب هو الجامع الرئيس الذي التقت حوله شخصيات النص (عبد الرحمن/ فاطمة / خالد) على سبيل التمثيل، سواء كانت غربة مكانية أو زمانية، حيث يحمل كل شخص على كتفيه حقائب معاناته.

إضافة لرصد التحولات الاجتماعية التي أوصلت الفرد للبحث عن خلاصه في الإمعان بجهنم الاغتراب، باحثاً عن وطن آخر، وما يتطلع إليه الجيل الجديد، يكشف النص عن تفاصيل مأساوية ترتكب بحق الشخوص، رجالاً ونساء وأطفالاً ممن تحرك حالاتهم أعماق الحسّ الإنساني.

السفر، رصيف بارز على طريق الرواية التي غاصت في أعماق الإنسان، كاشفة صراعاته مع ذاته والآخر، ومجمل المواضعات التي جعلت من الرواية نصاً مفتوحاً على فضاءات أدبية بأشكال تعبيرية منوعة، معجونة بمذاق لغة وصفية فصيحة ظهر تأثرها بالتراث العربي والقرآن الكريم جلياً، قدّم فيها الكاتب حراكاً ناضجاً عن الوطن والرحيل، والشوق الجارف للمكان الأول، وعن أمومة المكان وطناً، دون أن نجد نهاية قطعية، بل نهاية تنفتح على فضاءات تأويلية كثيرة.. حزم حقيبته بصمت ومشاعر ممزقة، كأن لغة الضياع والحسرة اللتين رافقتاه في حياته الأولى، تهبّان نحوه من كوّة صغيرة داخل قطار العمر الموجع، متناسياً غدر الزمان الذي سرق طفولته. لم يحدس أن الموت المباغت يتنفس لغة مختلفة للحياة بما يكتنزه من حيرة وفجيعة، تسكنه لعنات شتى، كلعنات المدينة التي لا تمنحه السلام بعد أن فشل في تجربة البقاء صامداً في الوطن الذي لم يقدر على صوغ حياته من جديد وترميم روحه.

الموقف من المدينة والوطن، محطة تشد انتباه المتلقي، حيث جاءت صورتهما ناضحة بالمرارة والأسى، نحن نهرب من أوطاننا لأنها تبتزنا، تستكثر علينا الحياة، تفرض قاموسها التاريخي علينا لنفعل أشياء لا تقنعنا، بعض الناس يستسلمون لإرادته، ولكي يبتعدوا عما يهيج نفوسهم يذعنون ويبتلعون أصواتهم، عادت فاطمة في إكليل الخلاص إلى ذاكرتها ومعاناتها وكأنها تضفي إلى رصيده هموماً أخرى، كانت من قبل قد كتبت ورقة ألقتها في السفارة، قالت كلاماً عن حبها لوطنها، دافعت عن الوطن بالحجج، ويوم عادت إليه محمولة على أجنحة الشوق وساعات انتظار طويلة، تبدد شوقها وحنينها وكأنها تفيق من صدمة، انقلبت المعاني ليبدو عشقها للوطن يوازي الكذب على الذقون ويوازي الخوف والملل، يوازي الموت المؤجل الذي يغزو الناس عنوة. هذه الرحلة للوطن تعادل كل زياراتها، كانت ثقيلة الوطء عليها، اكتشفت أنها داخل مصيدة دبقة كلست عظامها.
هذه الصورة غير المريحة، تأخذنا لصورة المرأة، فهل كانت أفضل يا ترى؟ وكيف عالجها النص؟

النساء هناك يراوغنها بحيلة النسيان ويكافحن تلاطم أمواج أرواحهن المهدرة بنتف عبارات هي بمنزلة عزاء لا يسد رمق أسئلتهن. تكتشف أن المرأة في وطنها لا تزال حالة استثنائية تمثل الخوف منها وعليها، والإنسان تحوّل إلى شيء بلا شكل أو هوية، هذا الإحساس بالعجز والدونية، يفقدها حتى اسمها وصوتها، نسيت داخلها المرأة والمرآة. النساء لهن عالمهن الخاص جداً ليقعن فرائس للوحدة ثم الضياع والاكتئاب، يلجأن إلى التدخين وأمور أخرى معقدة جداً.
هذه الصورة السالبة للمرأة والوطن، مقطع من دراسة سوسيولوجية لمجتمع تحكمت فيه الضغوطات والتابوهات، اجتهد النص أن تكون صرخة بأهمية التوقف والمراجعة بحثاً عن الأسباب.

سمير أحمد الشريف- رابطة الكُتاب الأردنيين

قافلة النشر

الفارابي

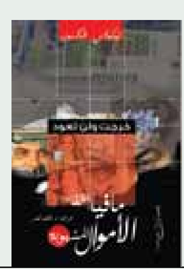



صورة الفلك والتنجيم في الشعر العباسي.. فواز أحمد طوقان

تسونامي.. حمود السايق

الأرض الثامنة.. محمود زعرور

دار سطور





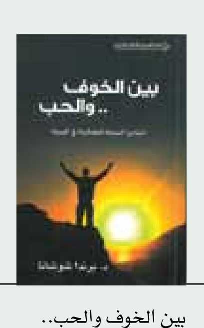
مافيا إخفاء الأموال المنهوبة.. ترجمة فاطمة نصر

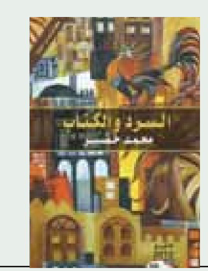
المسلمون الافتراضيون.. جاري آر.بانت.. ترجمة: علاء الدين محمود

المعرفة في خدمة الهيمنة..ماثيو جايكوبز.. ترجمة:د. فاطمة نصر

الإباحية ليست حلا.. د.ميريام جروسمان ترجمة: وائل الهلاوى

دور نشر متنوعة




بين الخوف والحب.. د.برندا شوشانا ترجمة: محمد الغامدي

الثقافة والتنوع الإحيائي.. د.م.راكشمي ناراسيا ترجمة:درويش الشافعي

الحكم الرشيد والمواطنة الصالحة.. محمد الطريقي

السرد والكتاب.. محمد خضير

المسلمون نحو المعاصرة..د.زهير محمد الزميلي

دار جداول






الإسلام والمجتمع المفتوح..سليمان بشير ديان.ترجمة:السيد ولد أباه

فتاة النص.. ليلى الأحيدب

عبد المحسن السعدون.. لطفي جعفر فرج عبدالله

الجابري دراسات متباينة.. علي العميم

معهم..حوارات صحفية في الشأن السعودي.. سعد المحارب

مدارك



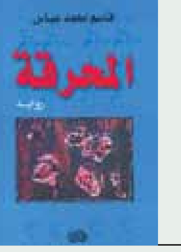
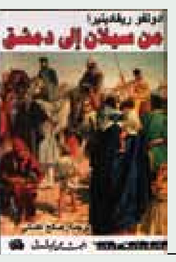



كخة يا بابا..
عبدالله المغلوث

خارج الطائفة..
د.علي أحمد الديري

تغطية العالم..
أحمد السيف عطيف

دار المدى

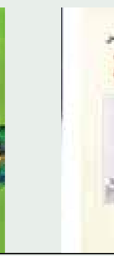



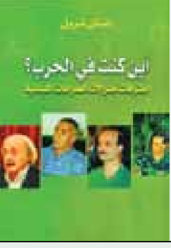
النصف الخصب..
وضحى سيف الجهوري

المحرقة..
قاسم محمد عباس

من سيلان إلى دمشق..
أدولفو ريفادينيرا.
ترجمة:صالح علماني

رياض الريس





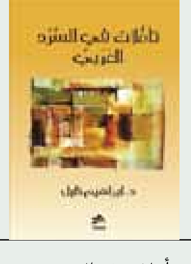

الشجرة..
عبدالله محمد الناصر

أين كنت في الحرب؟..
غسان شربل

مع الأدب العماني..
أحمد الفلاحي

العبيكان



انتحار الغرب..ريتشارد
كوك وكريس سميث.
ترجمة:محمدالتوبة

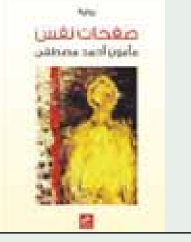
نظرات في منهج التغيير
بالقوة..
عبدالله جاب الله

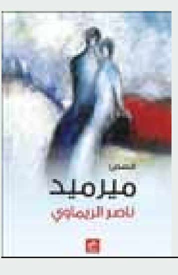
تأملات في السرد
العربي..د.إبراهيم خليل

الماء وتقنية
مياه الصرف..
ترجمة:يوسف رضوان

دار فضاءات للنشر







كما تتغير الخيول..
خالد جمعة

من القلب..
أ.د.أفنان دروزه

صفحات نفس..
مأمون أحمد مصطفى

جاليريا..
ناصر فالح الريماوي

ميرميد،قصص..
ناصر الريماوي

صمت الواجهات

موت المدينة العربية



Shutterstock



هل فقدت المدينة العربية رشدها، هل ضلت طريقها إلى الحاضر، بينما انقطع بها السبيل إلى ماضيها؟ هل أصبحت المدينة العربية مسخاً لا هوية له، خليطاً من طرز الأبنية الغربية والشرقية، على تمايز أنماطها وهندستها ووظائفها وألوانها؟ هل مات إحساس الجمال في ضمير المدينة العربية، مخلفاً ذلك الصمت المطبق على تاريخ من ذكريات واجهاتها وجدرانها مع أبرز فنانيها ومعمارييها، أم أنه ما زال حياً تحت أساسات الأبراج العالية التي تفرض عليها غربة تعيشها في أوطانها. واقع ملتبس وحقيقة غائمة بين التساؤلات والافتراضات، سعى فريق القافلة إلى كسر شفراتها، والغوص إلى عمقها.



واجهات المحلات صمت آخر في المدينة العربية

فتنة الشرق

يبدو أن الخلاف الدائر بين من يرون أن المدينة العربية وجدت طريقها أخيراً إلى العالمية باعتمادها أنماط العمارة الغربية، ومن يرى أنها ضلت الطريق إلى جذورها بهذا التغريب، دخل مرحلة أكثر عمقاً واحتداماً في آن، فعلى ما يبدو فإن للخلاف الذي يبدو معمارياً أبعاداً ثقافية وجمالية فكرية، ولعل الوقوف على هذه الأبعاد يتطلب منا النظر إلى واقع مدينتنا العربية بعين الآخر، إذ يصعب أحياناً رؤية الحقيقة من داخلها.

يقول المستشرق الإيطالي، فرانسيسكو غابرييلي: «ليس لي إلا أمنية واحدة: هي أن يخترع الشرق قيماً جديدة ومبتكرة قادرة على إغناء ميراث البشرية على هذه الأرض. وإذا لم يفعل ذلك واختار نقل القيم الغربية بعد إجراء التعديلات الضرورية عليها لكي تتأقلم معه، فأتمنى أن يختار من بينها الأفضل والأكثر كرماً وغنى بالخميرة النقدية. أتمنى أن يختار من بينها الأكثر قدرة على جعل البشر يكنون حباً للآخرين كما يحبون أنفسهم، بدلاً من أن يتعلقوا بأتفه ما أنتجه الغرب وأكثره قمعاً وضرراً».

إن عبارات غابرييلي لا تخلو من اتهام لأهل المدينة العربية وحاملي أختام هندستها العمرانية بالتواكل والتراجع، والتخلي عن جماليات مدينتهم بتبني النمط الغربي وتلقفه على علاته، وكان الأجدر بهم استنطاق جماليات نمطهم الشرقي القادر على منح مدن العالم روح الجمال التي يرى أنها مفتقدة في الشرق.

صراع هندسي ذو بعد ثقافي يسعى من خلاله الغرب إلى إعادة إنتاج ملامحه في شوارع مدن لم تزل تنبض بعد

وتتطور فكرة تغريب هندسة المدينة العربية لدى كثيرين يرون أن للقضية بعداً ثقافياً لا يمكن تجاهله، إن لم يكن هو الأساس، إذ يرى هؤلاء، ومنهم: إدوارد سعيد، أن الغرب قام بصناعة الشرق وتشكيله وإعادة إنتاجه من جديد على يد الغرب، حتى يتمكن من السيطرة عليه، وبناء ذاته وتشكيلها.

ويرى آخرون، منهم الأستاذ الدكتور مشاري عبدالله النعيم، أن المدينة العربية المعاصرة، التي نراها تموت جمالياً وفكرياً، وتتحول إلى ركام عمراني لا قيمة له، مضيفاً: «هذه المدينة لم تستطع أن تتخلص من كل هذه العوائق التي ساهم فيها الاستشراق، وأكدها التهجين المعاصر الذي فرض هوية مهجنة ومترددة على المدينة العربية». مشيراً إلى أن العمارة بوصفها ظاهرة ثقافية، إحدى القضايا الملحة التي لم تحظَ بأي اهتمام



Shutterstock

الأزقة الضيقة جزء من هوية المدن العربية القديمة



Shutterstock

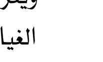
Shutterstock

التغلب على مستويات الأرض بإنشاء السلالم التي تضفي حميمية إلى الأزقة

من المثقفين والمهتمين بالعالم العربي، «ما همش هذا الجزء الثقافي وأبعده بشكل كامل عن الهمّ الثقافي العربي، على الرغم من أهميته الكبرى، سواء من الناحية الفكرية البحتة، أو حتى الاقتصادية، بالإضافة إلى تأثيره على جودة الحياة وتطور الذائقة الجمالية لدى الإنسان العربي».

لماذا؟

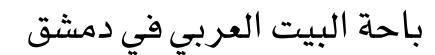
ويعزو د.النعيم هذه الإشكالية التي تعيشها المدينة العربية إلى الغياب النقدي الذي تعيشه الثقافة المعمارية في العالم العربي، «فعلى الرغم من انتشار التعليم المعماري، إلا أنه نادراً ما نجد مدرسة معمارية عربية تتبنى رؤية نقدية واضحة. ولعل هذا أوجد فراغاً إبداعياً يمكن ملاحظته بسهولة، فلا توجد أسماء ذات قيمة في مجال العمارة في العالم العربي، إلا من تعلم ومارس المهنة في الغرب». ويجد د.النعيم هذا أمراً محزناً يبعث على الإحباط. «على أن هذا يجب أن لا يجعلنا نتقاعس عن العمل والبحث عن مخارج فكرية ومهنية لهذا المأزق الذي نجد فيه العمارة العربية في الوقت الراهن».



البناء الهجين حل وسط يحقق للغرب طموحه ويثبت للشرق وجوده ويقطع الطريق على منطق الصراع

أيضاً يجد د.النعيم هذا التذبذب في نمط عمارة المدينة العربية، نابعاً أصلاً من فقدان البوصلة، فلم يعد واضحاً لنا ماذا نريد؟ وماذا تعني العمارة بالنسبة لنا؟ بالإضافة لإحساسنا بالإنهزام والتخلف وعدم قدرتنا على اللحاق بالغرب، مع تكبيل أنفسنا بمبررات تقليدية شكلت على الدوام الحبس الفكري الذي جعل العمارة العربية المعاصرة تبدو مشوهة للغاية.

بيد أن طرفاً ثالثاً قوي التأثير يدخل هذا المشهد الثقافي المعماري المتداخل لاعباً دوراً رئيساً، بل ربما كان في كثير من الأحيان يمسك بزمام الأمور، ألا وهو حركة الاستشراق التي يرى فريق غير قليل من المعماريين العرب المعنيين بالشأن الثقافي، إن ثمة مواقف سلبية محتقنة من قبل بعض المستشرقين الذين يناهضون فكرة وجود خصوصية جمالية لطرز العمارة العربية، أو أن للعمارة العربية يداً على العمارة الغربية، أمثال (هينتش) الذي لا يرى حسنة في الشرق، ولا ينسب له فضيلة حضارية ولا تاريخية ولا علمية ولا معمارية، مشبهاً إياه بالوهم، بقوله: «الشرق كامن في رؤوسنا. لا وجود للشرق خارج رؤوسنا، نحن الغربيين». هذه الصورة فتحت الباب على مصراعيه لإعادة محاكمة الاستشراق، خصوصاً بعد مقال مهم نشره أنور عبدالملك تحت عنوان (الاستشراق مأزوماً)، فمنذ تلك اللحظة ظهرت قراءات ودراسات تهاجم الاستشراق بشكل عميق، وتقيّم تأثيره السلبي على وجه الخصوص على الثقافة العربية الإسلامية.

Shutterstock

باحة البيت العربي في دمشق



Shutterstock

الزخرفة المغربية في واجهة نوافذ أحد المنازل

واعتماداً على المنطق نفسه يؤكد د. النعيم أن «المشكلة من وجهة نظري هي أن الغرب فعلاً أنتج مدينة عربية في خياله، وحاول فرضها على أرض الواقع، الأمر أنتج مدينة مشوهة، لأنها تصطدم بقوة مع قيم سكانها، فما يريده الغرب المهيمن الذي يمكن الأدوات والتقنيات ويفرض وجوده حتى يومنا هذا، يختلف عما يريده سكان المدينة العربية، إذ إن ما يتلاءم مع قيم حياة السكان يختلف مع قيم من يخطط ومن يرسم نمو المدينة. إنها إشكالية المتخيَّل الغربي الذي ساهم في بنائه الاستشراق، ما زال يعمل إلى اليوم، فما زلنا نرى شطحات المعماريين الغربيين تشكل مدناً عربية بأكملها».

بينما هناك مستشرقون نجحوا في النظر بحياد إلى الواقع، حتى لو كان الثمن إدانة الغرب، فهذا المستشرق الإيطالي، فرانسيسكو غابرييلي، يقول تحت عنوان (ثناء على الاستشراق)، إن الاستشراق ساعد على «استكشاف علمي للحضارات الشرقية في الماضي، وساهم هذا الاستكشاف في تبيان حجم مساهمة هذه الحضارات في التاريخ العام للبشرية، وقيمة هذه المساهمة. صحيح أن هذا الاستكشاف كان قد ساعد أوروبا أحياناً على تغلغلها الاقتصادي والسياسي في الشرق الحديث من أجل استعباده واستغلاله، لكن العدل والإنصاف والشرف أيضاً يقتضي منا ألا نعمم هذه الحالات والأحداث الخاصة ونشمل بإدانتنا كل البحث الاستشراقي. فهذه الإدانة قائمة على خلط الأمور والمغالطة».



المدينة العربية المعاصرة تموت جمالياً وفكرياً وتتحول إلى ركام عمراني لا قيمة له

وفيما تشير أصابع الاتهام إلى ضلوع الغرب، حسب مفهوم بعضهم، في تغريب النمط المعماري الشرقي، نجد أن هناك من يؤكد أن الاستشراق ليس كله شراً، وأن مساهمات المستشرقين مهمة ومؤثرة، ولولاها لما كنا تعرفنا الكثير من جوانب الثقافة العربية. وإن كانوا ركزوا في الجانب المعماري على وجه الخصوص على اكتشاف الآثار وجمعها.

الحيز الثالث

وعلى صعيد البحث عن أرضية مشتركة قد تجمع بين فرقاء التصور الجمالي المعاصرين للمدينة العربية، يقر بعض المحايدين بدءاً بأن الغرب حاول دراسة الشرق وفهم محركاته الثقافية، وتأثر به بشكل كبير، ونقل منه سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. وتأسيساً على هذه الفرضية يقر هؤلاء بأن عمارة الاستشراق العربية، لا يمكن عدها عمارة غربية خالصة، بل هي نتاج هجين، نشأ عن هذه التفاعلات لفهم الخصوصية المحلية التي ابتدعها الغرب منذ ثلاثة قرون أو يزيد، لكنها في صورتها الحالية أقرب إلى تكوين متوازن يجمع الشرق والغرب في قالب واحد. ويقترح هومي بابا، اعتمادًا على فرانس فانون، وإدوارد سعيد، حيّزًا ثالثًا، تتمثّل فيه علاقة التبعية بين الطرفين، ذلك الحيّز الذي يقوم فيه الطرف المستعمَر التابع بمحاكاة المستعمِر، وفي الوقت ذاته يوجد لنفسه ثقافة خاصّة ومستحدثة، بينما يقوم المستعمر بمحاكاة ثقافة التابع المستحدثة. هذا الحيّز الثالث وإن رأى بعضهم أنه مؤسّس على حداثة مستوردة ومشوّهة ومترجمة بصورة سيئة، إلا أن هؤلاء يرون إمكانية أن يصنع هذا الحيز في نهاية الأمر عمارة ذات نكهة كونية، تجمع في داخلها بذرة هجينة، طالما حملتها العمارة عبر التاريخ.

وعلى ما يبدو فإن مفهوم الحيّز الثالث بدأ يلقى تجاوباً واسعاً لدى قطاع من المعماريين بوصفه منطقة محايدة تلتقي فيها

الكولونيالية، حلم الهيمنة الذي قد يتحول إلى واقع الالتقاء على أرض مشتركة، والسحر الذي انقلب على الساحر

عمارة الشرق والغرب، ومنطقة يفترض أنها ستكون ثرية بأنماط جديدة هجينة، فيرى هؤلاء أنه حيّز مبدع، فعّال، وليس مجرّد حيّز انعكاسيّ، فهو حيّز يوّلد فرصًا أخرى. كما أن هذا الحيّز الثالث الهجين، حسب هؤلاء، يوفّر سياسة تتسم بكونها حاضنة تقوم بتشكيل هويات جديدة، وأيضاً مواقع جديدة من التعاون والتنافس. يعزز هؤلاء وجهة نظرهم بأن المدينة العربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين مرت بفترات تهجين تشكل خلالها الحيز الثالث، الذي ينتمي لكلا المؤثرين الثقافيين؛ العربي والغربي، وصنع عمارة هجينة رومانسية أحياناً، من خلال نظرة المعماريين الغربيين للعمارة العربية، وأحياناً أخرى تصبح ثقافية تقليدية، من خلال محاولات المعماريين العرب صياغة عمارة ذات هوية.

وقريباً من منطقة الحيز الثالث هذه فقد بدأ مفهوم العمارة الإسلامية يتطور منذ أن ظهرت أول دراسة استشراقية معمارية لمنشأة إسلامية، قطب منار في دلهي، قدمها المهندس البريطاني جيمس بلنت James Blunt عام 1798م. كان بلنت يرى أن المشكلة الأساسية في الفهم الشائع للعمارة الإسلامية تتمثل في أنه فهم تاريخي محض محصور ومحدد بالثقافة الإسلامية الدينية ذاتها. وعلى صعيد تقريب المفاهيم بين المفهوم الغربي البحت للعمارة، وما أفرزته عمارة الاستشراق، أو الدراسات الاستشراقية للمدينة العربية التي أفرزت لنا مصطلح العمارة الإسلامية، والمدينة الإسلامية، حاول فريق جديد تقديم فهم جديد، يوفق بين ما أنتجه الاستشراق، ورؤية الباحث والناقد العربي للمدينة العربية خلال القرنين الأخيرين. ويرى هؤلاء أنه من الممكن ربط الفكرة بالاتجاه الرومنطيقي، الذي يراه المستعرب الفرنسي مكسيم رودنسون، أنه تيار يميل عادة إلى ما هو خصوصي، أي إلى استكشاف العقليات القومية بكل خصوصياتها وألوانها المحلية.

وبالتالي فإن الرومنطيقية هي محاولة للفهم من الداخل الذي يستعصي بشكل كامل دون فهم الخارج وتأمله، الأمر الذي يصب في الأخير في فكرة الحيز الثالث الهجين، الذي قام (بابا) بتطويره بغية تفسير التطوّر على صعيد الثقافة والهوية في ظلّ ظروف محاولة الهيمنة باستخدام سلاح الثقافة، ما يطلق عليه الكولونيالية، التي تتسم بالتضادية وغياب العدل. هنا يصبح الهجين نمطاً ثقافياً سلطوياً، تأخذ على عاتقها ترجمة هوية الواقع تحت المستعمر من خلال منظور يدّعي الكونية، ولكنها تفشل في هذه المهمّة، وبدلاً من ذلك فإنها تقوم باستحداث شيء جديد عن غير وعي. ويضيف (بابا) أن الهجين من زاوية أخرى علاج للتخلص من هيمنة فكرة الماهوية والاعتقاد بالثبات وعدم التغيير، وبأن جميع أشكال الثقافة تشارك في عملية دائمة لتشكيل حالات هجينة. ما يعني أن فكرة الكولونيالية في الأخير قد خرجت عن مسارها الأصلي، مقدمة فرصة



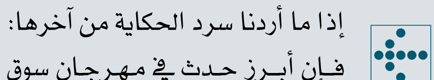
الحنين إلى الأندلس جزء من هوية البيت العربي
Shutterstock

للالتقاء الجمالي الهندسي المعماري الذي ينتج في الأخير مدينة عربية بروح غربية، أو العكس، أو شيئاً آخر جديداً يمكن للعربي أن يجد فيه نفسه وثقافته، وأيضاً يلمس فيه روح التغيير. الأمر الذي يعززه د. النعيم بقوله: «إن مجرّد اللقاء بين قوّة المستعمر والخاضعين لها، على الرغم من الفصل القائم بينهما سواء كان هذا الفصل، حدودياً، مادياً أو نفسياً ثقافياً، إلا أنه لقاء يتسبب في تغيير مفاهيم كليهما ووعيهما لذاتيهما، ما يؤدّي إلى تشكيل حالة هجينة تجمع بينهما. حتى إننا نستطيع أن نقول إن هناك حالة رفض وعدم رفض، يمارسها المهتمون والممارسون للعمارة في العالم العربي صنعت عمارة مهجنة وعاطفية يصعب تعريفها بوضوح.

قول في مقال

سوق عكاظ
الشِعر أولاً .. الشِعر آخراً

انتهى مهرجان سوق عكاظ في دورته الخامسة، الذي أقيم، مؤخراً، في محافظة الطائف هذا العام. وانطلاقاً من متابعته يسوق لنا أحمد البوق بعض الأفكار التي طرحت في هذه الدورة من أجل تحسين مستوى السوق، كما يقدم اقتراحات حول جائزة الشعر التي تُقدم على هامش المهرجان.



إذا ما أردنا سرد الحكاية من آخرها: فإن أبرز حدث في مهرجان سوق عكاظ في دورته الخامسة 2011م هو حجب جائزتي الشعر، شاعر عكاظ وشاعر شباب عكاظ. ومنذ إعلان الحجب وعلامة استفهام كبيرة تطوف الأوساط الأدبية والثقافية. هل عقمت أرحام قرائح الشعراء العرب أم أن العقم كامن في آليات منح الجائزة؟ والاستفهام ليس في الحجب بذاته ولكن في توقيته، فأن تحجب جائزة منحت لعشرات السنين- لعدم ارتقاء الأعمال لمستوى الجائزة- أمرٌ مقبول، أما أن تحجب جائزة للشعر في عامها الخامس في سوق قام منذ الجاهلية واكتسب شهرته التاريخية على الشعر ومن الشعر فأمرٌ يدعو للدهشة.

وأظن أن علينا أن نتحرر من مفاهيم المسابقات الشعرية المتكلسة القائمة على تحديد نوع الشعر ومحاوره وعدد الأبيات المطلوبة، فالشاعر ليس ترزياً، ولا يمكن النظر للشعر بمقاييس سباق الهجن.

فجائزة شاعر عكاظ من الأجدى أن تمنح للتجربة الشعرية. والشعراء العرب الذين أثروا الساحة الشعرية العربية والدولية عبر الترجمة بلغات عديدة لا يزال حضورهم يضفي حيوية وحراكاً على المشهد الشعري والثقافي في كل مكان يحلون فيه. ومنح الجائزة كل عام لإحدى هذه التجارب ودعوته لإحياء أمسية في سوق عكاظ والمشاركة في ندواتها ومن ثم استضافته شهراً بالتنسيق مع وزارة الثقافة والإعلام ليتنقل بين مناطق المملكة زائراً لأهم معالمها التاريخية والحضارية ودعوته لإحياء أمسيات شعرية عبر الأندية الأدبية والمراكز الثقافية والجامعات لهو أجدى لتفعيل الساحة الشعرية المحلية وإثراء البرامج الثقافية. كما أن جائزة شاعر شباب عكاظ إذا ما منحت للشعراء الشباب في المملكة الذين أصدروا دواوين خلال العامين أو الثلاثة السابقة لتاريخ منح الجائزة فإن ذلك سيفعّل حركة النشر، ويعطي فرصة لتقييم التجربة من خلال ديوان لا قصيدة. ولا شك أن سوق عكاظ قد نجح منذ إعادة إطلاقه قبل خمس سنوات في مزج الشعر بالفنون الأخرى كالمسرح والفن التشكيلي والنحت والتصوير والفنون الشعبية، كما أن هذه الدورة شهدت العديد من الإضافات كجائزة التميز العلمي، ومعارض التقنية متناهية الصغر (النانو)، ومعرض الحياة الفطرية، والعديد من المعارض المتنوعة التي وصل عددها إلى 14 معرضاً. كما كان لمسرحية زهير بن أبي سلمى– رغم كل الملاحظات عليها- ومسرح الشارع في جادة سوق عكاظ الذي يستعيد تاريخ السوق الشعري بمشاهد مسرحية جاذبة، وعروض الفنون الشعبية اليومية دور في جذب الكثير من الزوار لموقع السوق. أما الندوات والأمسيات الشعرية المصاحبة فقد تنوعت بين جلسات صباحية لندوات نقدية أقيمت في الفندق حيث ينزل ضيوف السوق، وندوات علمية واجتماعية وأدبية، وأمسيات شعرية مسائية أقيمت في موقع السوق لإتاحة الفرصة لأكبر عدد من الزوار لحضورها. وكان لهذا التنوع أثر إيجابي في تفعيل أنشطة السوق. ومن المؤمل مستقبلاً أن يتم تطوير العروض


تصوير ديفسا كفلي
من أرشيف الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها

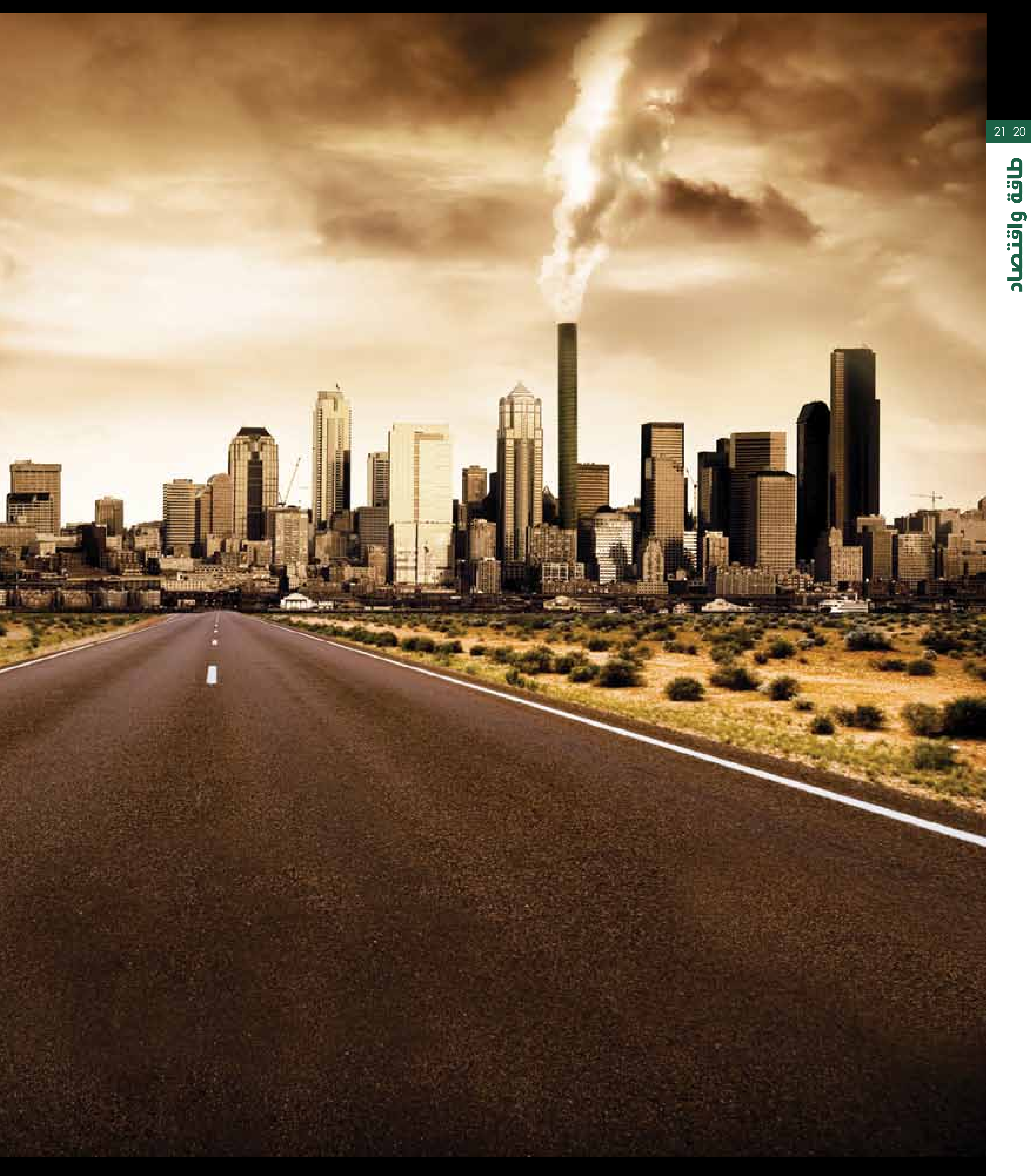
المسرحية باستضافة فرق عربية للمسرح، سواء المسرح المغلق أو مسرح الشارع من دول لها تجربة طويلة في مجال المسرح كمصر ولبنان وسوريا، وأن يُنظَّم معرض للكتاب بالتزامن مع موعد السوق تدعى له مئات شركات النشر العربية وغير العربية لعرض مطبوعاتها، وربما إتاحة الفرصة لها لا لبيع الكتب فقط ولكن لعقد صفقات مع المكتبات المحلية وتلقي عروض النشر. ومن الأفكار التي طرحت لهذه الدورة أن يقام معرض تجاري لمختلف المنتجات الوطنية وغير الوطنية على موقع السوق، إذ التجارة جزء من فكرة السوق الأساسية، كما طرحت فكرة الوقف والاستثمار لضمان استمرار فعاليات السوق. وبالرغم من أن السوق يشهد في كل دورة تطوراً ملحوظاً على صعيد البنى التحتية والتنظيم وبعض الإضافات المثمرة، إلا أن بالإمكان أفضل مما كان. فللسوق مخطط عام لمدينة ثقافية متكاملة قدمه صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة ورئيس اللجنة الإشرافية العليا للسوق، الأمير خالد الفيصل لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ووجه يحفظه الله بتنفيذه، وسلمت بالفعل ما يوازي عشرة ملايين متر مربع من موقع السوق للهيئة العامة للسياحة والآثار للبدء بتنفيذه. ولا بد للسوق من هيئة دائمة في موقعه التاريخي تشرف على تنفيذ مخططه العام وتؤسس لقاعدة بيانات شعرية وثقافية، وتوثق لفعالياته وتشارك باسم السوق في المهرجانات الشعرية العربية والعالمية. كما أن الطموح أن يكون للسوق قناة فضائية خاصة به وإن بدأت موسمية إلى اكتمال المخطط العام، وإثراء أرشفتها بالمواد الشعرية والثقافية ومشاركاتها الإقليمية والدولية.

ومن الأفكار التي طرحت خلال فعاليات السوق الأخيرة دعوة بعض المستعربين– دارسي اللغة العربية وآدابها من غير العرب– لفعاليات السوق وإتاحة الفرصة لهم لتقديم مشاركاتهم. كما أن الترجمة ودعوة شعراء من حضارات وثقافات مختلفة سينعكس على إثراء الساحة الثقافية. كذلك طرحت فكرة إنشاء دار نشر باسم السوق للإبداع عموماً، والتركيز على الشعر والحديث عن تفعيل المسرح الشعري والموسيقا المرتبطة بالشعر.

وإذا ما كان لحكايتنا مع السوق أن تصل إلى نهايتها فلا بد من عود على بدء من الإشارة إلى أن سوق عكاظ هو أشهر أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، وأنه استمر قرابة 250 عاماً منها 129 عاماً في الإسلام، ثم توقف بعد هجمات القرامطة عليه وتدميره، لثلاثة عشر قرناً إلى أن أعيد إحياؤه قبل خمسة أعوام. وقد شهد الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، السوق صغيراً وكان يستمع إلى الخطب الشهيرة لقُس بن ساعدة فيه، وشهده بعد البعثة للدعوة للإسلام. ويقع السوق على بعد 40كيلاً شمال شرق الطائف. ولقربه من مكة المكرمة كان ينعقد قديماً من 1-20 من ذي القعدة الشهر السابق للحج، ثم ينتقل العرب لأسواق مجنة وذي المجاز إلى الوقوف بعرفات. هذا البعد التاريخي لتوقيت انعقاد السوق يطرح ضرورة تحديد موعد ثابت له يضمن الإعداد المسبق لبرامجه وفعالياته، وجدولة المشاركات فيه قبل موعد السوق بوقت كاف. وبخلاف ما قال زهير بن أبي سُلمى الشاعر المحتفى به في الدورة الأخيرة للسوق:

وأعلمُ علمَ اليوم والأمس قبلهُ
ولكنني عَن علم ما في غدٍ عَمِ

فإن مستقبل سوق عكاظ واضح في أذهان المثقفين وموثق على الورق، ولا يحتاج سوى لعزائم الرجال المخلصين لتحقيق هذا الحلم الثقافي. ولا يغيب عن أبصارنا وكل من يسهم في تحقيق وتطوير سوق عكاظ بالأفكار الجديدة والإضافات الفاعلة أن الشعر في سوق عكاظ يأتي أولاً وآخراً.





Shutterstock

المناخ هل يعصف بالاقتصاد؟

تمثل مشكلة التغير المناخي تحدياً كبيراً للمجتمع الدولي، إذ أثارت اهتمام جميع الأوساط الدولية والإقليمية من منظمات وهيئات حكومية وغير حكومية، ومن أجله تعقد العديد من الفعاليات العالمية منها قمة الأمم المتحدة لتغير المناخ في بالي بإندونيسيا 2007م، وقمة كوبنهاجن 2009م، وذلك للتوصل إلى معاهدة ملزمة قانونياً لتحل محل بروتوكول كيوتو (معاهدة بيئية دولية خرجت للضوء في مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية) التي ستنتهي مدته عام 2012م.

د. نوزاد الهيتي، أستاذ الاقتصاد وخبير التعاون الدولي، يبحر في ثنايا تغير المناخ وأثره في الاقتصاد.

شهد عالمنا المعاصر في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ازدياد آثار التغير المناخي والذي سببه عمليات طبيعية داخلية، أو قوى خارجية، أو تغيرات في بنية الغلاف الجوي، أو في اتساع رقعة اليابسة، وتمثلت إرهاصات هذا التغير بالأعاصير والفيضانات وارتفاع درجات الحرارة الناجمة عن انبعاثات الغازات، والتي شكلت تهديداً للمجتمع الدولي وللاقتصاد العالمي برمته.

تتفاوت الخسائر الناجمة عن التغير المناخي تبعاً لدرجة التقدم الاقتصادي للدول، فالدول النامية التي يعتمد اقتصادها على إنتاج الزراعة وصيد الأسماك سوف يكون حجم التأثير فيها مضاعفاً

إن لتغير المناخ جملة من التأثيرات السلبية على الأصعدة البيئية والاجتماعية والاقتصادية، ولكن يبقى التأثير الاقتصادي هو الأهم. وتتمثل الخسائر الاقتصادية الناشئة عن التغيرات المناخية فيما يلي:

- التأثير السلبي المباشر على الناتج والإنتاجية من جراء التغير طويل الأجل في درجات الحرارة، وزيادة حدة أو تعاقب حدوث الظواهر المناخية المتطرفة لاسيما في قطاع الزراعة وصيد الأسماك والسياحة.
- التكاليف الناشئة عن ارتفاع مستوى سطح البحر وزيادة شدة الفيضانات. فحدوث ارتفاع قدره متر واحد من شأنه أن يخفض الناتج المحلي الإجمالي بنحو 10% في العديد من الدول كمصر وموريتانيا وبنغلاديش.
- استمرار التدهور في الأوضاع المالية بسبب تقلص القواعد الضريبية التقليدية، وزيادة الإنفاق الموجه لتخفيف تغير المناخ والتكيف مع مستجداته.
- تكلفة الجهود الرامية إلى تخفيض نسب انبعاث الغازات، بما في ذلك ارتفاع أسعار الطاقة وزيادة الاستثمار.
- بروز مشكلة في موازين المدفوعات لبعض الدول بسبب انخفاض صادرات السلع والخدمات (المنتجات الزراعية والأسماك والسياحة) وازدياد الحاجة إلى استيراد السلع الغذائية وغيرها من السلع الأساسية.
- الآثار السلبية التي ترتبط بفقدان التنوع البيولوجي والنظم البيئية، وآثار تغير المناخ على صحة الإنسان ونوعية الحياة.

وجدير بالذكر أن التقديرات الاقتصادية لتأثير تغير المناخ تستند إلى دوال الأضرار Damage Functions التي تربط بين الخسائر في الناتج المحلي الإجمالي وبين ارتفاع درجات الحرارة. وهناك مجموعة متنوعة من التأثيرات المناخية تغطيها تقديرات التكاليف من حيث الناتج المحلي الإجمالي والتي تجسدها دوال الأضرار، وعادة ما يتم تجميع تلك التأثيرات في مجموعتين هما:

Shutterstock



مجموعة التأثيرات السوقية

تشمل الآثار على القطاعات الحساسة للتغيرات المناخية كالزراعة والغابات والمصايف والسياحة، والأضرار التي تلحق بالمناطق الساحلية نتيجة لارتفاع مستوى سطح البحر، والتغيرات في نفقات الطاقة (لأغراض التدفئة أو التبريد)، والتغيرات في موارد المياه.

مجموعة التأثيرات غير السوقية

تشمل الآثار على الصحة كانتشار الأمراض المعدية واشتداد نقص المياه والتلوث، والأنشطة الترويحية كالرياضات، والتسلية، ونشاطات الهواء الطلق)، والأنظمة البيئية كفقدان التنوع البيولوجي، والمستوطنات


Shutterstock

البشرية (لسبب محدد هو أن المدن والتراث الثقافي لا يمكن لهما الهجرة). وفيما يتجاوز درجة الحرارة المبدئية، هناك أثر لمستوى التنمية على الأضرار الناجمة عن تغير المناخ:

أولاً: عادة ما ينطوي انخفاض مستوى التنمية على ارتفاع درجة الاعتماد على القطاعات الحساسة للتغيرات المناخية، وخصوصاً الزراعة.

ثانياً: عادة ما يكون السكان في هذه الدول معرضين بدرجة أكبر إلى تغير المناخ بسبب انخفاض نصيب الفرد من الدخل مقارنة بغيرها من الدول، ومحدودية توافر الخدمات العامة (كالرعاية الصحية)، وانخفاض مستوى تطور الأسواق المالية.

ثالثاً: تؤدي نفس العوامل أيضاً إلى تقييد طاقة التكيف لدى الاقتصاد المعني. وهناك تقديرات للأضرار الناجمة عن تغير المناخ تحدد صراحة التكاليف كدالة لمستوى الدخل. وغالباً ما يكون هناك اقتران بين ارتفاع درجات الحرارة المبدئية وانخفاض مستويات التنمية، ما يؤدي إلى مضاعفة التأثير الضار لتغير المناخ على الاقتصادات النامية.

وتشير دراسات عدة إلى أن تأثير تغير المناخ على مختلف المناطق متشابه في توزيعه، ويتحقق ذلك عن طريق تعديل التأثيرات الإقليمية في ضوء التأثير العالمي في كل دراسة على حدة. فالمناطق التي يرجح أن تشهد أشد الآثار سلباً مقارنة بسواها تشمل إفريقيا، وجنوب شرق آسيا (وخصوصاً الهند)، وأميركا اللاتينية والدول الأوربية الأعضاء في منظمة التنمية والتعاون في الميدان الاقتصادي(OECD).

وعلى العكس من ذلك، يتوقع أن تعاني الصين وأمريكا الشمالية والدول الآسيوية الأعضاء في منظمة التنمية والتعاون في الميدان الاقتصادي واقتصادات مرحلة التحول (وخصوصاً روسيا) تأثيرات أقل، بل إنها قد تستفيد، وهو ما يعتمد على المدى الفعلي للاحترار.
ونجد في الهند تفسيراً للتأثير السلبي الكبير، «مخاطر الكارثة»، كالتغير في نمط الأمطار الموسمية، والأضرار التي تلحق بالزراعة، وتدهور الأوضاع الصحية.
وفي إفريقيا نجد أن أهم أثر ورد تقديره في دراسة ordhaus&Boyer هو تدهور الأوضاع الصحية الناجم عن انتشار أمراض المناطق الحارة، غير أن هناك تقديرات أحدث للآثار المرجح وقوعها عن الإمكانات الزراعية ويتوقع أن تكون أضرارها أكبر على الزراعة.

وتتضرر الدول الأوربية الأعضاء في منظمة التنمية والتعاون في الميدان الاقتصادي ضرراً كبيراً من تأثير مخاطر الكوارث والأضرار التي تلحق بالمناطق الساحلية. وتؤكد التقديرات الفيزيائية لتأثير تغير المناخ أن إفريقيا وآسيا معرضتان بدرجة كبيرة للمخاطر. ففي هاتين المنطقتين، سوف يواجه حوالي مليار نسمة نقصاً في المياه بحلول عام 2080م، وقد يسقط أكثر من 9 ملايين نسمة ضحايا لفيضانات المناطق الساحلية، وقد يزداد انتشار الجوع بين أعداد كبيرة، وربما كانت


Shutterstock

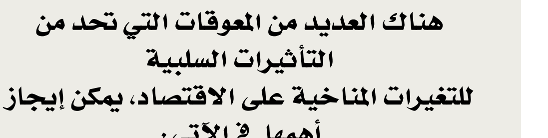
الدول «الجزرية» في المحيط الهادي الأكثر تعرضاً وبصورة مباشرة من بين الدول الفقيرة، حيث إن مجرد ارتفاع جديد بسيط في مستوى سطح البحر يمكن أن يؤثر تأثيراً هائلاً على بيئة تلك الدول.

يشكل تغير المناخ تهديداً لدول العالم كافة، ولكن الدول النامية هي الأكثر تعرضاً للانعكاسات السلبية لتغير المناخ، فتشير التقديرات إلى أنها ستتحمل نحو 75 - 80% من تكاليف الأضرار التي تنجم عن تغير المناخ. فازدياد درجة حرارة الأرض بدرجتين مئويتين عن درجة الحرارة التي كانت سائدة قبل الثورة الصناعية – وهو الحد الأدنى الذي من المرجح أن يشهده العالم- يمكن أن يسفر عن إنخفاض دائم للناتج المحلي الإجمالي بنسبة 4- 5% بالنسبة لأفريقيا وجنوب آسيا.

إن تخفيض الآثار الاقتصادية لتغير المناخ يتطلب تبني أسس ومعايير الاقتصاد الأخضر التي تشجع على إيجاد مصادر جديدة ونظيفة للطاقة



Shutterstock



هناك العديد من المعوقات التي تحد من التأثيرات السلبية للتغيرات المناخية على الاقتصاد، يمكن إيجاز أهمها في الآتي:



1- ارتفاع تكاليف تعبئة الاستثمارات الضرورية وحفز اتخاذ إجراء من جانب الدول للاستجابة لتغير المناخ يمثل أحد المعوقات الرئيسة التي تحد من التخفيف من آثار التغير المناخي.

2- يشكل الارتفاع النسبي لتكاليف مشاريع آلية التنمية النظيفة التي تنطوي على استخدام الطاقة المتجددة عائقاً أمام استخدامها بشكل واسع.

3- يمثل عدم جمع البيانات وتحليلها والتنبؤ بها بصورة صحيحة عائقاً أمام فهم ومعالجة الآثار المناخية، ويشمل ذلك البيانات عن: آثار تغير المناخ على الصعيدين الإقليمي والوطني، وتكاليف التقاعس عن اتخاذ إجراءات على المديين القصير والبعيد، والآثار المترتبة بالنسبة للدول الأقل نمواً والدول الجزرية الصغيرة.

4- عدم كفاية التمويل المتاح حالياً في إطار آليات التمويل المتعددة الأطراف لدعم تدابير التكيف في الدول الضعيفة.

5- يؤدي عدم وجود دلائل سوقية واضحة إلى تثبيط همم القطاع الخاص في مجال الاستثمار ، علاوة على ذلك لا يوجد إلحاح في بعض الأنحاء على اتخاذ تدابير قوية للتخفيف والتكيف مما يشكل عائقاً أمام تعزيز مشاركة القطاع الخاص في اتخاذ إجراءات عالمية متضافرة لمعالجة الآثار السلبية للتغير المناخي.



فالدول النامية تعتمد بشكل كبير على خدمات المنظومات الإيكولوجية ورأس المال الطبيعي من أجل الإنتاج في قطاعات تتسم بالحساسية تجاه المناخ. ويعيش الكثير من سكانها في مواقع مكشوفة طبيعياً ، وأوضاع اقتصادية خطرة وقدراتها المالية والمؤسسية على التكيف محدودة. ويشير صانعو السياسات في بعض الدول النامية إلى أنه يتم تحويل المزيد من موازناتها التنموية لأغراض التغلب على طوارئ متعلقة بالأحوال الجوية.

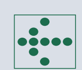
وستتأثر الدول التي تتمتع بمستوى دخل مرتفع أيضاً بظاهرة الاحتباس الحراري المعتدل. والواقع أن الأضرار بالنسبة للفرد ستكون أعلى في الدول الغنية لأنها تُشكل نسبة 16% من سكان العالم، ولكنها ستتحمل نسبة 20-25% من الأضرار العالمية الناجمة عن أثر الاحتباس الحراري، غير أن ثروتها الكبيرة ستجعلها أكثر قدرة على التغلب على ذلك. فتغير المناخ سيسفر عن دمار في كافة الأقاليم والدول- بيد أنه سيزيد الفجوة الكبيرة بين الدول المتقدمة والدول النامية.

وتتفاوت الخسائر الناجمة عن التغير المناخي تبعاً لدرجة التقدم الاقتصادي للدول، فالدول النامية التي يعتمد اقتصادها بشكل كبير على إنتاج الزراعة وصيد الأسماك سوف يكون حجم التأثير مضاعفاً، ويقدر فانكهاوزر إجمالي خسائر الدول النامية بحوالي 89.1 مليار دولار سنوياً، أي بنسبة 1.6% من الناتج المحلي الإجمالي، بينما تتكبد مجموعة دول منظمة التنمية والتعاون في الميدان الاقتصادي (OECD) نحو 180.5 مليار دولار أو ما يعادل 1.3% من إجمالي ناتجها المحلي. ويتوقع أن تبلغ الخسائر الإجمالية للظواهر المناخية العميقة إلى 300مليار دولار سنوياً بحول عام 2050م.

وفي الختام نقول إنه بالرغم من توصل مندوبي 200دولة شاركت في قمة كانكون بالمكسيك عام 2010م إلى نص جديد لمكافحة تغير المناخ يتضمن مجموعة من الآليات من بينها إنشاء صندوق جديد لمساعدة الدول الصغيرة، وضرورة الإبقاء على ارتفاع درجات حرارة الأرض عند درجتين مئويتين، وكذلك وضع أسس آلية تهدف إلى الحد من انحسار الغابات الذي يسهم بما بين 15 إلى 20% من انبعاثات الغازات الدفيئة، غير أننا نرى أن تقليل الآثار الاقتصادية لتغير المناخ يتطلب تبني أسس ومعايير الاقتصاد الأخضر التي تشجع على إيجاد مصادر جديدة ونظيفة للطاقة ذات انبعاثات كربونية منخفضة والاعتماد على أساليب تكنولوجية للحد من انبعاث الكربون في المواصلات وتقنيات أكثر كفاءة لاستخدام الأراضي الزراعية والحد من تعرية التربة وحماية التنوع البيولوجي.

اللغة المتوحشة
كن مستمعاً ذكياً وناقداً للمفردات من حولك

لكل لغة شعاع ثقافي مصاحب لها تتوطد به العلاقة بين اللغة والفكر بشكل وثيق، فكما يقول دكتور اللسانيات أبو زيد المقرئ الإدريسي: «اللغة ليست أداة محايدة وليست عاكساً أو وعاء لوضع الشيء، بل هي منظور حضاري وصورة ثقافية وخزان ذاكرة تاريخية، وهي إبداع وانتماء وهوية». إننا نعيش في زمن تبلور فيه الكلمات المشهد الراهن في أعين الناس.كما تزداد وسائل الإعلام من حولنا وتتشعب من خلالها الأقوال والآراء. ونجد المشاهد والمستمع يقع في حيرة وقد تتخبط به اللغة يمنة ويسرة، فيقف مؤيداً لطرف دون آخر حيناً ليعاود بعدها الوقوف في الجهة النقيض. من أهمية اللغة في عالم الاتصال ودورها في تشكيل الأفكار ظهر هذا الكتاب.



نتج هذا الكتاب عن تعاون مشترك بين الكاتبين الأمريكيين جون كولنز وروس غلوفر. كولنز يعمل في مجال الدراسات الكونية في جامعة سانت لورنس، وله اهتمام خاص بقضايا الشرق الأوسط ووسائل الإعلام. أما غلوفر فهو مختص في علم الاجتماع في ذات الجامعة ويعمل في تحرير مجلتين أمريكيتين.

لقد علم أهمية ما يطرحه هذا الكتاب الأستاذ أحمد بن سعيّد، فقام بحمل عناء ترجمته بدقة على مدى خمس سنوات. و الدكتور أحمد سعيّد أستاذٌ مشارك في قسم الإعلام في جامعة الملك سعود وحاصل على الدكتوراه في الاتصال الخطابي من جامعة ويلز الأمريكية. عمل رئيساً لتحرير مجلة الأسرة وكاتب عمود في مجلة الحياة، وله العديد من المؤلفات والمنشورات.

يُترجم عنوان الكتاب حرفياً من Collateral Language إلى «اللغة الرديفة»، وهي كما يعرِّفها المترجم: «لغة بديلة يجري استخدامها لا تحمل خصائص اللغة، فهي لا تهتم بالتغيير المعرفي أو نقل الحقائق، بل تسعى إلى دعم مصالح معينة، ولذا فهي لغة ملتبسة يتم تحويرها قصداً لطمس المعاني الحقيقية». وبما أن مصطلح «اللغة الرديفة» غير متداول فقد انتقى المترجم مرادفاً وهو «اللغة المتوحشة»، وقام بتغيير ما يلزم حتى يناسب ذائقة القارئ العربي.

يحتوي الكتاب على أربعة عشر مقالاً متنوعاً، كتب كولنز وغلوفر منهما اثنين وقاما بإضافة ومراجعة مقالات لكتّاب آخرين. ركز كاتب كل مقال على منهجية طرح تقوم على خمس طرق رئيسة يمكن للقارئ من خلالها فهم أثر اللغة عليه وهي: القبول، والإدراك، والآثار الحقيقية، والتاريخ، والإمكانية. في المقدمة يوجد شرح تفصيلي لكل من هذه الطرق الخمس، لتأتي بعدها المقالات بمواضيع متنوعة تضفي شمولاً وعمقاً، ومنها: الوحدة، والعدالة، والشر، والأهداف وغيرها.

رغم أن هذا الكتاب يزخر بالمصطلحات التخصصية، إلا أن هذا الجانب قد روعي، فكل ما يمكن أن يشكل على القارئ تم التنويه

إلى معناه. بهذا، أصبح الكتاب في متناول الجميع بمختلف ثقافتهم، وخصوصًا الصحافيين والإعلاميين واللغويين.

يكمن ثراء هذا الكتاب وتنوعه في أنه لا يستهدف شريحة بعينها. اللغة هي الأصل في الطبيعة البشرية، فعلى الصغير والكبير أن يلتفت لما يتلقى في وسائل الإعلام بشكلٍ يومي عبر الإنترنت والصحف. على المتلقي أن يكون واعياً وناقداً لما يقرأ ويسمع لا كالإسفنج يمتص فقط.

لا شيء يذهل أذهاننا كالحديث بطريقة جديدة عن أمور اعتيادية تشربناها منذ الصغر. بين جنبات ما يقارب ثلاث مئة صفحة، يقوم الكاتب باستفزاز القارئ فكرياً ليعيد النظر باللغة المقروءة والمسموعة المحيطة به.

رغم أن الكتاب يصب تركيزه على علاقة الدول بشعوبها إلا أنه يوسع البصيرة لتبلغ جميع عوالم اللغة، وينشئ لدى القارئ العديد من التساؤلات.التي تحث على التعمق في اللغة بشكل أكبر، وبهذا يصبح القارئ أكثر وعياً وذكاء.

يسلط الكتاب الضوء على استخدام اللغة آلة للدعاية، ووسيلة لتحقيق أهداف النخب بغض النظر عن المصالح الحقيقية للمواطنين. تشكل اللغة حياتنا دائماً، لكن عندما تشتد الأزمات يكون لها تأثير مضاعف. أهمية اللغة لها مواسم تزدهر بها، فكلما اشتد التعقيد في الأوضاع الاجتماعية منها والسياسية، ازدادت أهمية وحساسية المفردات والتعبيرات المنتقاة.

قد يردد الناس كلمات غامضة لا يعرفون أصلها فقط لكونها أصبحت متداولة في وسائل الإعلام. في غضون أيام قلائل تصبح كلمات قد اندثرت في المعاجم إلى مفردات تتكرر بشكل يوميٍ وقد لا يعي الكثيرون معناها أو مصدرها. ولنأخذ مثالاً من الثورات العربية التي حازت اهتمام جميع أطياف المجتمع، من أين ظهرت كلمات مثل: مرتزقة، بلطجية، فلول، شبيحة وغيرها؟

على كل فرد متلقٍ أن يفهم اللغة الموجهة له وينتقدها ويعلم إن كانت في مصلحته أم غير ذلك. تحتاج اللغة أن توضع تحت المساءلة حين تؤثر على أفكار المتلقي، وكما يقول



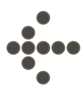
الكاتبان: «كلما ازدادت سيطرة الدولة على اللغة التي يسمعها الشعب والصور التي يشاهدها، أصبح من السهل الحصول على قبول شعبي».

تملك اللغة القدرة على تشكيل تصوراتنا وإدراكنا، وبها يتمكن المرء من الدفاع عن ما لا يمكن الدفاع عنه، فهي تصنع القبول كما تصنع المعارضة. إن أكثر البشر تحضراً وفهماً من الممكن أن يقوم بأعمال إجرامية إذا ما أعطي المبررات الكافية لتقنعهُ بضرورة ما يفعل، تماماً كما يحدث في جرائم الشرف وغيرها. إن أي عمل عنيف لا يلقى معارضة، يكون خلف الصمت عنه خطاب إقناع قوي يمكن من إيجاد المبررات الكافية لهذا العمل، وهذا ما يطلق عليه عبارات التمويه والتلطيف.

محاور عدة وأفكار متنوعة يطرحها كتاب «اللغة المتوحشة» لتبحر بالقارئ إلى بحور التفكير، وتصل به إلى شواطئ الوعي والنقد البناء.

سارة عفيف

صياغة الذهب
فن يواجه تهديد الآلة



أعفت بعض الحكومات، مؤخراً، خدمات تصنيع الذهب المحلي من الضريبة، وذلك في ظل ارتفاع أسعار الذهب، حيث كان الصُناع يضيفون الضريبة إلى التكلفة المصنعية، ما يجعل سعر قطعة الحلي باهظاً فوق سعر الذهب الذي يتزايد. عن الذهب والصائغ والمصوغات ومدارس صياغة الذهب التي تطورت من اليدوي إلى الآلة تأخذنا شمس علي في جولة في هذا العالم المتذبذب بين سعر الذهب، وسعر الصياغة.





Shutterstock

لا يختلف فن صياغة الذهب عن فنون أخرى عديدة، مثل النقش والرسم والخط والنحت في شيء، بل إنه في حال تأملنا سنجد أنه يجمع في بوتقته سائر تلك الفنون، خاصة في أثناء مراحل تصنيعه، إذ إن أي قطعة مصوغة مهما خف وزنها وصغر حجمها، في حاجة قبل البدء بصناعتها إلى نموذج مرسوم إما أن يقوم الصائغ باستحضاره عبر ما تجود به مخيلته الفنية الخصبة أو من خلال الاستعانة بمصمم تنحصر مهمته في الرسم، بعدها تبدأ سلسلة طويلة من مراحل التصنيع تتمثل في الصهر والطرق والسحب والصب في قوالب والنقش، ما يجعل القطعة في نهاية المطاف تحفة فنية بعد أن تضافرت فنون عديدة في صناعتها، أولها الرسم ، بيد أنه ليس دائماً آخرها النقش.

الآلة والعمالة الوافدة

إن علاقة الصائغ بالقطعة التي يقوم على صياغتها، خاصة في الزمن الماضي حيث الاعتماد بالدرجة الأولى على التصنيع اليدوي، لا تكاد تخلو من حميمية بسبب طول بقاء القطعة بين يديه، والتأني في أثناء الاشتغال عليها، وحرصه على أن يبث بين ثناياها جل شحنات الإبداع في داخله.

كما يحرص الصائغ على أن يضع عليها لمساته الفنية بدقة ومهارة وابتكار لتكتسب جماليتها وفرادتها ورونقها الخاص. ولا يرضى إلا أن تبهره أولاً قبل أن تبهر مقتنيها في نهاية المطاف.

وبإلقاء نظرة فاحصة على الحاضر مقارنة بالماضي، ندرك كم احتلت الآلة تدريجياً المساحة الكبرى في هذه الصناعة التي آلت في النهاية، في غالبيتها، إلى الأيدي العاملة الوافدة، بعد أن تقلص عدد الحرفيين المحليين مع زحف التمدن نتيجة عدم توريث المهنة للأجيال الجديدة، وضآلة الربح مقارنة بالجهد المبذول.

مهنة عريقة وقيمة اقتصادية

تعود صناعة الذهب إلى عام 3500ق.م وكانت مصر وبلاد ما بين النهرين الموطن الأصلي لهذه المهنة، وفي أوربا عرفت بريطانيا هذه الحرفة في عام 1180م، عندما تم تأسيس نقابة الصاغة الأولى، وبلغت صياغة الذهب قمة تطورها في عصر النهضة في إيطاليا، حيث ذاع صيت سيليني بنفنوتو الصائغ الإيطالي الشهير. واحتل الذهب مكانة عالية في الحضارة الإنسانية منذ عصر ما قبل التاريخ مروراً بالعصور الوسطى، وصولاً إلى الحضارة الإسلامية، بسبب قيمته العالية، وبريقه الأخاذ، ومقاومته للتأكسد، وإمكانية تشكيله، واتخذته شعوب جنوب أفريقيا رمزاً للنور وشروق الشمس، واحتل مكانة مقدسة لدى الفراعنة المصريين الذين يحسب لهم ابتكار العديد من أدوات حرفة الصياغة، كما أنهم استعملوا النار لتنقية الذهب من الشوائب وفي تسهيل عملية تشكيله ما أحدث نقلة نوعية في هذه المهنة في ذلك الزمن.

وبذلك ساهم الفراعنة في تحويل مادة الذهب الخام إلى معدن نقي ومن ثم صياغته في درجات حرارة عالية تصل إلى 1000 درجة مئوية، وتعد حرفة الذهب من أعرق المهن التي عرفها الإنسان نظراً لما يتمتع به من قيمة اقتصادية وسياسية، إضافة لاهتمام الإنسان منذ القدم بزينته وبكل ما يضفي عليه جمالاً.

الذهب: ألوان وعيارات

يتمتع المعدن الأصفر بقابلية للتحول إلى ألوان عدة بحسب المادة المضافة إليه، حيث يمكن أن يتحول للون الوردي بإضافة 20% من الفضة و5% من النحاس. ويتكون الذهب الرمادي أو الأبيض لدى إضافة 20% من معدن النيكل وهو معدن أبيض و5% من الفضة. وللذهب أنواع:











Shutterstock

نوع الذهب	نسبة الذهب	النسب المتبقية
عيار 24	999.9 من الألف ذهب	
عيار 22	916 من الألف ذهب	النحاس
عيار 21	875 في الألف ذهب	معادن أخرى مثل النحاس والفضة
عيار 18	750 في الألف ذهب	معادن أخرى

وهذه هي الأنواع المصرح بالتعامل بها في المملكة.

الذهب بين المطرقة والسندان

في السابق، كانت أدوات الصياغة محصورة بين عدد محدود من الأدوات البسيطة، من أبرزها:المطرقة والسندان، والملاقط، وحديدة السحب، وهي عبارة عن حديدة مثقبة بسعة تدريجية ومرقمة، تستخدم لسحب الأسلاك الرفيعة حسب السماكة المطلوبة وبشكل دائري. البوتقة: وهي عبارة عن وعاء فخاري خاص مقاوم للنار.

ومع استمرار عجلة التطور ظهرت شيئاً فشيئاً أدوات جديدة اختصرت الزمن الطويل الذي ينفقه الصائغ في صناعة الحلي، كما ذللت الكثير من الصعوبات التي كان يواجهها في الماضي بيد أنها في الوقت نفسه أفقدته كثيراً من المشاعر الدافئة التي كانت تنشأ بينه وبين ما يقوم على صناعته من حليٍ طالما أسبغ عليها من مكنونات نفسه وهي تأخذ في التشكل بين يديه.

عالم ساحر مليء بالأسرار والمتاعب

بالأمس كان عالم الصياغة عالماً شاقاً، لأن إنتاج أي حلية ذهبية ومن ثم بيعها يعني بالضرورة المرور بسلسلة من المكابدات، تبدأ مع مراحل التصنيع الأولى الأشبه بالطقوس، وليس لأن الصائغ المهموم بلقمة العيش يحتاج خلال عمله لاستحضار جل تركيزه وما يمتلك من دقة وقدرة على الابتكار والمهارة وخفة





اليد ليقوم على الصناعة، يلاعب شعلة النار متحكماً في توجيهها إلى بؤرة صغيرة بعينها يروم لحامها بأخرى، أو يعالج قطعة ذهبية ربما يصعب الإمساك بها بمواد كيميائية خطرة، ليغليها بعد نهار مجهد قضاه منكباً عليها يسامرها في اختناقات دكانه في حامض تطفو فقاعاته في بوتقة خزفية، لينتهي به المطاف بعد ذلك إلى دفنها وعيناه تومضان بريقاً يضاهي بريقها في نشارة خشب أو رمل ساخن. هو عالم مليء بالمخاطر والقلق والأسرار التي لا يقف على كثير منها أو يفك شفراتها ورموزها إلى الآن سوى أبناء المهنة ذاتها. فمن تهديد دائم للتعرض للسرقات، إلى حاجة مستمرة للنزوح للهجر والأقطار النائية من أجل توسيع دائرة الربح.

وإن كان الأمر حالياً يبدو أقل عنتاً من السابق بعد أن قلصت الآلة الوقت والجهد حيث الأفران الكهربائية والقوالب الجاهزة التي تقوم على استنساخ العدد المطلوب من أي قطعة ذهبية، بيد أن طائر القلق لا يزال يشاغب أصحاب المهنة بسبب استهدافهم من اللصوص، وكذلك نتيجة ارتفاع أسعار الذهب وتراجع الإقبال على شرائه.

مراحل الصياغة

لا يمكن للصائغ أن ينطلق في رحلة التصنيع الشاقة والشائقة في آن، قبل أن يهيئ أولاً معدن الذهب حسب المعيارية التي يريدها، محولاً الذهب الخالص عيار 24 إلى عيار 21 أو 18 بإضافة معادن أخرى ومن أفضلها النحاس والفضة لاشتراكها في الليونة والطواعية مع الذهب، مع الالتفات إلى أن النزول من عيار 24 إلى 21 مثلاً يزيد من صلابة وقوة الذهب، إذ من المعروف أن ذهب عيار 24 لين نسبياً ولا يصلح لصناعة الحلي. وتتمثل الخطوة الثانية بعد تجهيز المعيارية، في عملية

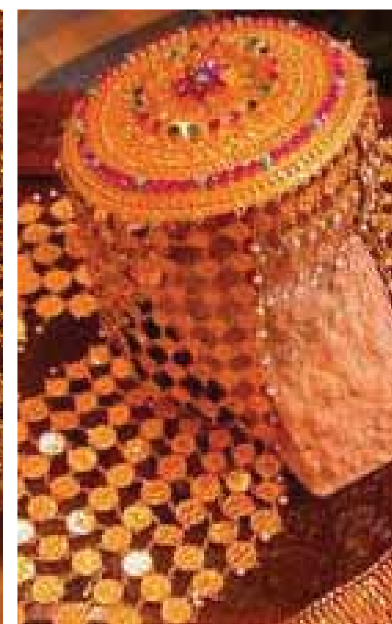


Shutterstock

الكيمياء شريك في الصياغة

لا يمكن للصائغ الاستغناء عن بعض المركبات الكيميائية التي تساعده على صقل معدن الذهب وتلميعه، والتي لها دور مهم في فن الصياغة، ومن أبرز هذه المركبات:

المركب	ماهيته	استخدامه
حامض النيتريك (HN3)	أسيد مركَّز	يستخدم في الغالب في تنقية الذهب من الشوائب
(البورك) أملاح البوركس	لونها أبيض وتذوب على شكل محلول في الماء	تستخدم بهذا الشكل كعامل مساعد لانصهار اللحام وانسيابه وانصهار الذهب بالفرن
حامض الكبريتيك(H2SO4)	أسيد درجة تركيزه تصل إلى 40 %	ويستخدم في تنظيف القطع الجاهزة من البورك المحترق و تأثير النار بعد تجهيز القطع نهائياً وإعطائها اللون الطبيعي
حامض الهيدركلوريك (HCL)	أسيد بدرجة تركيز تتفاوت بين 20 إلى 40 % يطلق عليها اسم (المياه الصفراء)	وتستخدم في تنظيف القطع الذهبية الجاهزة وإعطائها اللون الطبيعي
النشادرالهيدركلوريك (HCL)	أملاح بيضاء تستخدم على شكل أملاح جافة أو محلول	لإعطاء القطع الجاهزة اللون الطبيعي بعد تنظيفها بحامض الكبريتيك



SSPC



الهامة والمرتعشة كانتا من جهاز العروس الخليجية فيما مضى

الصهر، يليها الطرق، والسحب والصب وغيرها من الخطوات حسب الموديل المراد تصنيعه.

الذهب بين المصوغات والمقتنيات

ثمة الكثير من المصوغات المشهورة في دول الخليج، والتي حرصت الجدات على اقتنائها والتزين بها في المناسبات والأعراس ومنها: المرتعشة، والهامة، والمرية، والمرامي، والمناجر، والفتخ، والحزام، والبناجر، والقلائد والخلخال والمحبس، والتي تجسد أصالة التراث وتعبر بما تحوي من فن يدفع للتأمل في قيم الحب والخير.

وفي الأعوام الأخيرة شهد ترصيع الذهب بالأحجار الكريمة وشبه الكريمة تطورًا ملحوظًا، وبدت التصاميم أكثر حداثة ومواكبة للعصر بحيث أصبح من المتعذر أحياناً التفريق بين قطعة إكسسورات وقطعة ذهب عيار 18 مثلاً لتشابه موديلاتهما. وفي جميع الأحوال لا يمكن

احتلت الآلة تدريجياً المساحة الكبرى في هذه الصناعة التي آلت إلى الأيدي العاملة الوافدة، بعد أن تقلص عدد الحرفيين المحليين مع زحف التمدن، وضآلة الربح مقارنة بالجهد المبذول

للصائغ أن يخفي استمتاعه بهذه الحرفة التي تعبر عن فن راق، ورهافة حس، وخبرة وكثير من التأني والصبر والدقة. كما أن الذهب استعمل في تطعيم وتطريز ألبسة وعروش الملوك، وكذلك صناعة التيجان والأساور والأقراط والأواني والمسكوكات، وخلد التاريخ للإنسانية تحفاً ذهبية أثرية نادرة احتلت مكانة بارزة في زوايا العديد من متاحف العالم، مثل: «متحف المجوهرات الملكية» في مصر والذي يضم نحو11 ألفاً و500 قطعة تخص أفراد الأسر المالكة التي حكمت مصر، وتشتمل على: «فناجين، وساعات، وحافظة نقود، ولوحة شطرنج، وعصا، ودبابيس، وساعات، وأوسمة، وعملات، وأوان، وحلي». ويعد هذا المتحف من أجمل المعالم السياحية في الإسكندرية حيث يضم مجموعة نادرة ورائعة من التحف والمجوهرات والحلي والمشغولات الذهبية والأحجار الكريمة والساعات المرصعة بالجواهر والألماس، فيما يعرض متحف بيروت الوطني كنوزاً ذهبية بيزنطية، ومجموعة حلي نادرة من العصر المملوكي.


Shutterstock

يشكل هذا الكرسي الفرعوني دليلاً قاطعاً على أن المشغولات الذهبية كانت قديمة جداً

مدارس صياغة الذهب

من أشهر المدارس في صياغة الذهب، المدرسة الإيطالية، والهندية، والعراقية، ويمثل الثقل العالمي حالياً لهذه المهنة، دول الخليج العربي، نتيجة توفر رؤوس الأموال الكبيرة والتقنيات الحديثة وحالة الاستقرار السياسي والاقتصادي، ما مكنها من إنشاء ورش عمل ضخمة تضم مئات العمال الفنيين من مختلف الجنسيات، وبخاصة الهندية والباكستانية.

أما مهنة صياغة الذهب في المملكة العربية السعودية فهي من المهن التي شهدت في السنوات الأخيرة ضموراً ملحوظاً في الأيدي العاملة المحلية بسبب انصراف الأجيال الجديدة للدراسة طمعاً في الحصول على وظائف مستقرة ذات دخل ثابت، ما أدى إلى استقدام الأيدي العاملة الأجنبية التي أوكل إليها أمر هذه الصناعة في عدد من الورش المتخصصة التي تعرضت هي الأخرى مؤخراً لأزمة نجم عنها عمليات إغلاق بسبب ارتفاع أسعار الذهب.


SSPC

البناجر من المشغولات الذهبية المحلية

زراعة الوجه
ملامح مسروقة



ماذا لو فاجأك صديقك الذي تعرفه منذ زمن بملامح وجه مختلفة.. بأنف آخر، وشفاه أخرى، وذقن مختلف، وعينين مختلفتين، لكنه يقسم لك إنه صديقك، بذاكرته وروحه.. هل ستصدقه؟!

هذا التساؤل لم يُطرح من وحي فيلم «فيس أوف» الذي أنتج في التسعينيات الميلادية، إنما أُثير بسبب ما يتردد في الأوساط العلمية حول عملية زراعة الوجه التي أصبحت ممكنة، وربما في القريب العاجل لجأ إليها من لا يعجبه وجهه. وسط المخاوف والانتقادات د.لبنى عبدالغفور تجول بنا في عالم زراعة الوجه، حيث الملامح مسروقة من الموتى!

عالم الطب والتجميل يحفلان بالغرائب والأشياء التي لا تُصدق، أحياناً، فمن زراعة القلب والكلى والكبد وربط الأنسجة ببعضها في عالم الطب، ومن البوتكس لرفع الحواجب والفيلر لتعبئة الخطوط الغائرة وتقويم الأنوف في عالم التجميل، يتضافر الطب والتجميل في عمل أكثر ضرورة من التجميل وحده وأكثر تطلباً من الطب وحده ليقفا معاً تحت مسمى الطب التجميلي ليقوما بعمل رائع ومخيف، في الوقت نفسه، إنه زراعة الوجوه.

زراعات متعددة

دخلت عمليات زراعة الوجه مرحلة ثورية، وذلك منذ عام 2005م، عندما تمت في فرنسا أول عملية زراعة لنصف الوجه السفلي لسيدة في الثامنة والثلاثين تدعى ايزابيل دينوار. كانت قد تعرضت للعض من كلبها وهو يحاول إيقاظها من غيبوبة. ثم تتالت العمليات. ففي عام 2006م تمت عملية زراعة وجه لرجل في الصين تعرض لهجوم وحشي من دب ترك له وجهاً مشوهاً، حيث فقد جزءاً كبيراً من الأنسجة في جانب وجه الأيمن ما جعله يبدو بنصف وجه، وقد تم زرع أنسجة له من متبرع توفي في حادث مروري. أما في عام 2009م فخضعت كوني كولب وهي سيدة أمريكية لزراعة وجه بديل عن وجهها الذي تلفت ملامحه جراء إصابته برصاصة، حيث تلف الأنف والخدان وسقف الفم وإحدى عينيها. ولقد تمت زراعة هذا الوجه من متبرع توفي إكلينيكياً، إذ استأصل الأطباء من المتبرع أنفه، وشفته السفلى، وعظام خدّيه لتزرع في وجه هذه السيدة التي نعمت، بعدها، بوجه طبيعي، إلى حد ما، بعد ما كانت تحمل وجهاً مشوهاً لمدة خمس سنوات. لقد قام فريق طبي في مستشفى كليفلاند بقيادة رئيسة قسم أبحاث جراحة التجميل ماريا سيمونو بهذه العملية المعقدة التي استغرقت 22 ساعة واستطاعوا فيها أن يرمموا 80% من وجه كوني. الجدير بالذكر أن سيمونو أمضت سنوات عديدة للإعداد لهذه العملية المعقدة. فقد قام الفريق بعمليات زراعة وجوه على أجسام ميتة تم التبرع بها للأبحاث الطبية.

في عام 2010م تمت لأول مرة زراعة وجه بالكامل لرجل في إسبانيا كان قد تعرض وجهه بالكامل لتشوهات جراء إطلاق ناري في عام 2005م، ما أدى إلى تلف ملامحه. فقام فريق طبي مكون من 30 طبيباً في مستشفى دهيبرون الجامعي في برشلونة بإجراء عملية الزراعة التي استغرقت 24 ساعة.

أما أغرب عملية زراعة وجه وأحدثها فأجريت في فرنسا، في عام 2011م، حيث تم زرع وجه بالكامل لرجل في الخامسة والثلاثين من العمر عانى خللاً جينياً أصابه بتشوهات في الوجه، وكان الوجه الجديد قد فصل بالكامل من متبرع ميت، بكل ملامحه: بالأنف.. والشفتين.. والأجفان.. والأهداب. وكان انتزاعه لزرعه أشبه ما يكون مثلما حدث في فلم «فيس أوف» الذي أُستبدل فيه وجه جون ترافولتا بوجه نيكولاس كيج والعكس!

الجدل حولها

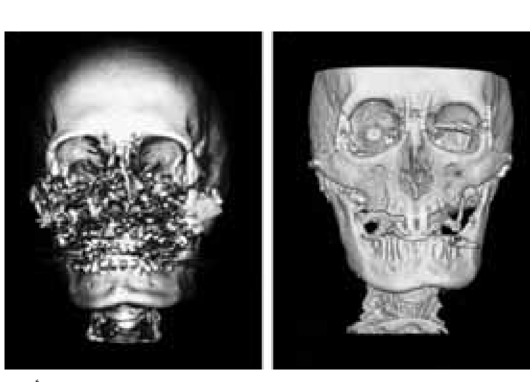
إن عمليات زراعة الوجوه باتت اليوم مثيرة للجدل، فبعد أن كانت في الماضي مستحيلة الحدوث أصبحت اليوم متداولة. حيث جعلت بعض المهتمين يتساءلون إن كانت أخلاقية أم لا! فزراعة الوجه، كما هو الحال، تتطلب التبرع مثلما يحدث في عمليات زراعة القلب في حال وفاة المتبرع، فمن غير المنطقي أن يمنح شخص وجهه وهو على قيد الحياة، بخلاف أن في حاله التبرع بالوجه فإن الشخص المريض يُمنح ملامح ظاهرة من المتبرع المتوفى، ما يسبب الضيق لأهل المتبرع وأصدقائه. كما أن المنتقدين يرون أن هذه العمليات ليست للمحافظة على الحياة، إنما، فقط، لتحسين الوضع!

أما على الصعيد الصحي فإنها مثار للانتقاد في الأوساط العلمية، إذ إن المريض سيخضع مدى الحياة لتناول أدوية تُحجِّم من المناعة لكي لا ترفض هذا الوجه المزروع، ما يسبب له تلفاً في أعضائه



التي سلامتها تضمن له استمرارية الحياة. ويضيف المنتقدون أضراراً أخرى لها. إن أخطارها على المستوى الأخلاقي والقانوني يمكن التنبؤ بها، فربما مع تطورها وسهولتها أُستخدمت لأغراض غير نزيهة كتسهيل عملية فرار المجرمين من جرائمهم بارتدائهم أقنعة دائمة، أو هروب المسؤولين من المسؤوليات، كما سيسهل خداع الناس، ما يجعل الحياة أشبه بحفل تنكري!

هذا النوع من الزراعة مثار للانتقاد في الأوساط العلمية، حيث تفرض على المريض تناول الأدوية التي تُحجّم مناعته ما يجعله فريسة للأمراض

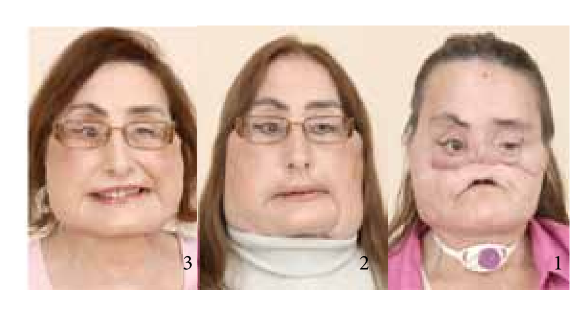


1.صورة للوجه بعد ترميم عظام الفك العلوي وسقف الحلق 2.صورة تبين مدى التلف الذي أصاب الوجه من جراء إطلاق النار عليه

صعوبات تواجهها

إن عمليات زراعة الوجه تواجه صعوبات كثيرة، سواءً على المستوى الجراحي أو النفسي الذي يظهر أثره في الجهات المانحة أو المتبرعة. فمن الصعوبة أن تجد أهل المتوفى وهم في حالة أسى يكون لديهم الاستعداد النفسي للتبرع بجزء واضح من فقيدهم للمريض مثل: الأنف أو الشفتين أو الخدين. أيضاً، من جهة أخرى تكمن الصعوبة في خضوع المريض للتقييم السريري والنفسي قبل إجراء العملية، ومدى تقبله لوجه لم يعتده، وربما كان لا يشبه وجهه الأصلي إطلاقاً. مما يجعله عرضه لآلام نفسية يصعب على المرء تحملها.

وبعدها تحتاج العملية عند الانتهاء منها لعدة شهور قبل أن يقرر الفريق الطبي، الذي أجراها، مدى نجاحها، وهذا الوقت الذي يلزم الأعصاب لتشفى. كما أن عمليات زراعة الوجه تتطلب جهداً ووقتاً أكثر مما تتطلبه زراعة أيّ عضو آخر، وذلك مثل زراعة الجلد والعضلات وربط الأوردة والشرايين والخلايا العصبية التي تتيح للمريض سهولة تحريك قسمات الوجه. بالإضافة إلى آراء المنتقدين الذين يؤلبون الرأي العام أحياناً ضد مسيرة الأبحاث لزراعة الوجوه. كما أن الفريق الطبي الذي يقوم بهذه العمليات يضع اعتبارات كثيرة في هذا النوع من العمليات كي لا تتعرض للفشل. وهذه الاعتبارات هي: نوع نسيج البشرة، ونوع الجنس إن كان ذكراً أو أنثى، والعمر، ولون البشرة.



1.صورة لكوني كولب قبل عملية زراعة الوجه 2.صورة بعد العملية 3. صورة لكوني بعد مرور سنة على الصورة رقم(2)

حياة جديدة

خلال سبع سنوات من 2005 م حتى 2011م كانت قد تمت حوالي 18 عملية لزراعة الوجه في العالم، وذلك في فرنسا والولايات المتحدة، وإسبانيا والصين. وخلال هذه السنوات السبع والعمليات عرضة للإخفاق والضجيج الإعلامي. ولعل فلم «فيس أوف» الذي سبق هذه العمليات حيث أنتج في عام 1997م أي قبل أول عملية بست سنوات، كان السباق في طرح الفكرة أمام الملأ من خلال فلم سينمائي، لكنه لم يكن السابق في إعادة الوجه الحقيقي لأصحابه. إذ حدث عام 1994م في الهند في إقليم البنجاب أن أُعيد وجه الطفلة سانديب التي لم تتجاوز تسعة أعوام، وكانت قد تعرضت لحادث بواسطة آله الحرث مما جعل جلدة وجهها وفروة رأسها تنفصل تماماً عن جمجمتها، فهرع بها والدها إلى المستشفى وهو يحمل وجهها في كيس بلاستيكي. تمكن الجراح توماس ابراهام من إعادة زرع الشرايين والجلد، وكانت العملية ناجحة جداً ولم تخلف إلا بعض الندوب، مما منح سانديب الصغيرة أملاً في الحياة. وتعد هذه العملية هي أول عملية تضع الأبجديات الأولى في عمليات زراعة الوجه، ولكن بملامحها هي.. ولم تكن الملامح مسروقة!

أبحاث جديدة

لن يتيه أحد بعد اليوم!

أكثر ما يقلق الأم حين الخروج للنزهة هو ضياع طفلها منها. وأكثر ما يقلق الأبناء هو ضياع كبار السن المصابين بالزهايمر عنهم. جاءت شركة «جي تي إكس» GTX Corp لتمحو هذا القلق وتمنح الأهالي نزهة ماتعة. تختص هذه الشركة الأمريكية بتصنيع أجهزة «جي بي إس» لتحديد المواقع. طرحت «جي تي إكس» حذاء رياضياً مزوداً بجهاز «جي بي إس» صغير داخل منطقة الكعب. تقوم فكرة الحذاء على تحديد مكان الشخص بدقة من خلال موقع على الإنترنت، إضافة إلى إمكانية تحديد منطقة معينة للتحرك وإطلاق صوت إنذار إذا تعداها الشخص. هذا الحذاء سيضمن راحة البال لكل من يرعى الأطفال، ومرضى الزهايمر الذين يقرب عددهم من 5 ملايين في أمريكا وحدها. مما يضفي قيمة تنافسية للمنتج هو أن الجهاز مخفي، فلن ينزعج الشخص من كونه تحت الأنظار. يباع الحذاء في محال أيتركس للرجال والنساء. ولم يتوافر للأطفال بعد. ضمت المجموعة الأولى 3 آلاف زوج من الأحذية بتكلفة تبلغ 300 دولار أمريكي.



العطر في قالب دوائي

اعتدنا أن نحارب روائح الجسم غير المرغوب فيها برذاذ عطر نرشه على الجلد من الخارج، فهل من الممكن أن نتغلب على كريه الروائح من منشئها في داخل الجسم؟



هذا السؤال حيّر العالمة الأسترالية لوسي ماكري ودفعها الفضول للبحث عن إجابة شافية. بعد سلسلة طويلة من التجارب والأبحاث، توصلت ماكري بالتعاون مع عالم الأحياء العربي شريف منسي إلى اختراع لا سابق له في عالم العطور. تمكنا من تصنيع كبسولة عطرية تحول رائحة العرق في الجسم إلى رائحة زكية. تحتوي الكبسولة على مواد تنطلق من الكبسولة بعد هضمها وتتفاعل كيميائياً مع سوائل الجسم. لا يقضي هذا الاختراع على رائحة الجسم المميزة لكل إنسان، فعطر الكبسولة يختلف باختلاف الإنسان المستخدم له. يسعى العالمان للتعاقد مع شركات التجميل لإطلاق هذا المنتج المتوقع أن يحدث تجديداً في عالم العطور.

باندا الصين في غابات إسكتلندا

تتطلع غابات إسكتلندا الساحرة باستمرار إلى إثراء البيئة الحيوانية لديها وحماية الحيوانات من الانقراض. وعلى مر خمس سنوات، سعت جمعية إسكتلندا الملكية للحصول على زوج من الباندا العملاقة من إقليم سيتشوان جنوب غربي الصين. وصل زوجا الباندا ولهما من العمر ثمان سنوات إلى العاصمة الإسكتلندية- أدنبرة في ديسمبر 2011م على متن طائرةٍ خاصة وطاقم رعاية متكامل، حرصاً على سلامتهما. يأتي نقل تيان تيان «الحلوة»، ويانغ قوانق «شروق الشمس» بعد مرور 17عاماً على غياب الباندا عن الأراضي البريطانية في عام 1994م. ستمكث الباندا عشر سنوات في غابات إسكتلندا على أمل أن تتكاثر قبل أن يحين موعد ردّها إلى موطنها. ينظر الصينيون إلى منح الباندا هدية دلالة على طيب العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

AFP



النفط في سلة الفواكه

يسعى الباحثون باستمرار لإيجاد بدائل عن النفط، وذلك تفاديًا لتداعيات نضوبه في المستقبل. وفي اكتشاف لافت وغريب، وجد البروفيسور البريطاني جيمس كلارك طريقة لتحويل قشر البرتقال إلى نفط.

كل ما يتطلبه استخلاص النفط من البرتقال هو فرن كهربائي فقط؛ فعندما تتعرض جزيئات القشرة إلى إشعاع حراري مرتفع، تتفكك جزيئاتها لتنتج غازات ممكن تقطيرها ليتحول إلى سائل. قام كلارك في تجاربه باستخدام السائل في أغراض متعددة كإنتاج النفط وتصنيع البلاستيك والوقود ومادة البكتين. لقيت هذه الفكرة اهتمام جامعة يورك، فقامت مؤخراً بإنشاء شركة أوبيك (شركة استغلال قشر البرتقال) المستقلة عن منظمة الأوبك العالمية. في حين يُلقى قشر البرتقال بكميات هائلة في النفايات، تقوم شركة أوبيك بجمع أطنان من القشر لإجراء المزيد من التجارب والأبحاث. قامت أوبيك بالتعاون مع مصانع عصير البرتقال في البرازيل واستراليا للاستفادة من المخلفات. يسعى كلارك لتوسيع تجاربه لتشمل منتجات نباتية أخرى كقشر التفاح وحبوب القهوة والأرز والجوز والكاجو. كما يتوقع أن يشكل هذا الاختراع علامة فارقة في طرق توليد الطاقة الكهربائية.



Shutterstock

روبوت يعتني بشعرك

قد يكون غسل الشعر عملاً بالغ السهولة بالنسبة للكثيرين، لكن هناك من يتكاسل عن القيام به. لقد شعر المبتكر الياباني توهر وناكامورا بمسؤوليته تجاه المعاناة اليومية لكبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة. فعمل ناكامورا بجهد تحت ظل شركة باناسونيك للإلكترونيات لتطوير روبوت يحاكي دقة عمل يدي البشر ويتفوق عليهما بعدد الأصابع. بأربعة وعشرين أصبعاً تتحرك بتناغم يقوم هذا الإنسان الآلي بغسل الشعر وتدليك الرأس خلال ثلاث دقائق. ما على الشخص سوى أن يتكئ برأسه على كرسي فخم يحاكي مقاعد صالونات التجميل ويدع مهمة العناية بشعره للروبوت.

سيطرح هذا الجهاز في انطلاقته الأولى مطلع عام 2012 م لدور الرعاية والمستشفيات بشكل خاص. يسعى ناكامورا للعمل على مزيد من التقنيات التي تؤمن الراحة وسهولة الأداء لمن لا يستطيع توفير الرعاية الكاملة لنفسه.



sspc

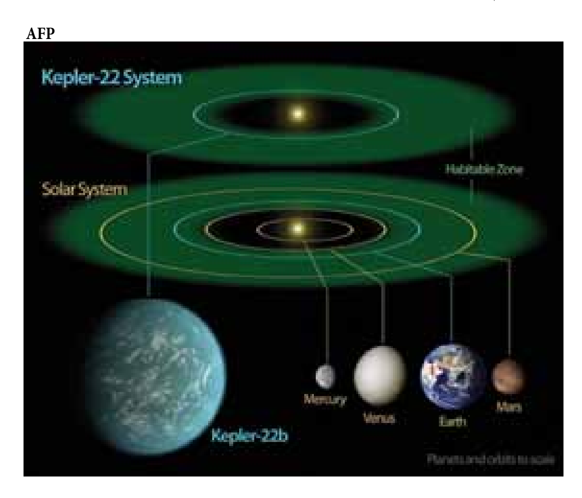
sspc

كوكب كيبلر ٢٢ هو الأمل!

في عام 2011م المليء بالمفارقات وغريب الأحداث، افتتحت أبواب الحظ أمام وكالة الفضاء الأمريكية ناسا. حيث تمكن الباحثون خلال هذا العام من تحقيق نتائج مذهلة لدراسات مكثفة حاول خلالها العلماء كشف وجود كواكب تصلح للعيش البشري.

كوكب «كيبلر 22 بي kipler 22b / » هو الأول من نوعه في مشابهته الشديدة لكوكب الأرض واحتوائه على المسطحات المائية مما يجعله مؤهلاً للعيش. سمي الكوكب بهذا الاسم نسبة إلى تلسكوب كيبلر المستخدم ودرجة حرارته الملائمة للإنسان والبالغة 22 مئوية.

AFP



رسم توضيحي للنظام الذي يسير به كوكب كيبلر22- بي ب مقارنة بالكواكب في النظام الشمسي.

لكون الكواكب غير مضيئة بذاتها ويصعب اكتشافها، ساد الاعتقاد لفترة طويلة من الزمن بأن وجود الكواكب حكر على النظام الشمسي. قامت ناسا في عام 2009م بكسر هذا الاعتقاد حيث أطلقت تيلسكوب كيبلر للبحث عن أجرام جديدة، ويتم يومياً اكتشاف المزيد من الكواكب إلى أن بلغ العدد 2362 كوكباً وما زال في ازدياد. يقوم التلسكوب المزود بكاميرا تلتقط صوراً على بعد 3 آلاف سنة ضوئية بتغطية المنطقة الواقعة بين برجي القيثارة والدجاجة داخل مجرة درب التبانة. على الرغم من أن كوكب «كيبلر 22 بي» اكتشف في عام 2009م، إلا أن فريق البحث انتظر ثلاث سنوات حتى يتأكد من مروره أمام نجمه في كل سنة. وبعد التيقن من كونه كوكباً أعلن عنه في شهر ديسمبر 2011م.

يدور الكوكب الواقع خارج نظامنا الشمسي حول نجم مشابه جداً للشمس في منطقة أطلقت عليها ناسا اسم المنطقة المؤهلة للسكنى. يميز هذه المنطقة وجود مياه سائلة والعناصر الأساسية للحياة. رغم قرب كيبلر من النجم المشع الذي يدور في فلكه إلا أن هذا النجم أقل حرارة من الشمس وأصغر حجماً منها، ويستغرق 290 يوماً لإنهاء دورانه السنوي حول نجمه. يبلغ حجم كيبلر 2.4 ضعف حجم الأرض إلا أنه يعد الأصغر في مجموعته. تساوي كثافة كيبلر كثافة الأرض (5.515 غ/سم3)، بينما جاذبية سطحه تصل إلى 2.4 من جاذبية الأرض. ولا تزال الدراسات قائمة لتحديد الكتلة والتركيب العنصري والبيئي له. يبعد كوكب «كليبر22 ب» عن الأرض بمقدار 600 سنة ضوئية؛ فهو قريب في المعايير الفلكية لكن الوصول إليه في المعايير البشرية يعد ضرباً من المستحيل.

يعد هذا الاكتشاف بصمة كبيرة في عالم الفلك، وهو كفيل بفتح آفاق لا حصر لها للباحثين. من المتوقع أن يستمر اكتشاف كواكب أخرى شبيهة بالأرض، حيث تشير الدراسات إلى أنها منتشرة بكمية لم يتصورها الفلكيون من قبل. لا يستبعد علماء ناسا وجود حياة على الكواكب المشابهة للأرض، ولكن قد يقف بُعْدُ المسافات الهائل حائلاً دون التحقق من ذلك.

من طريف ما يذكر أن الاهتمام بهذا الكوكب التوأم للأرض لم يقتصر على الفلكيين، بل على اهتمام الأدباء أيضاً. فهناك من الكتّاب من أبحر بخياله إلى الحياة الجديدة على سطح كيبلر بعيداً عن الكرة الأرضية التي لوثتها الحروب، وأثقلت كاهل سكانها فصول الصراع المستمر.

AFP



AFP



أشجار في الهواء



ليس من الضروري أن يكون لديك حديقة كي تزرع زهرة، لكن من الضروري أن يكون لديك تربة وماء لتزرع هذه الزهرة. ماذا لو أخبرتك روناء المصري في هذا الموضوع أنك لكي تزرع خضراواتك المنزلية وشجيراتك الصغيرة وحتى أزهارك لن تحتاج بعد اليوم إلى التربة؟!

ما هو تعريف الحياة؟ هناك تعريف علمي وآخر يمكن الإحساس به حين نمعن النظر في كل ما حولنا من طبيعة، مثل المزروعات الخضراء أو الحيوانات أو الأسماك، وبالطبع الإنسان. وبما أن العلم أجمع على أن الماء هو أساس وجود الحياة، فلا يمكننا بأي حال أن نغفل ذكره عندما نتحدث عن الحياة، ولكننا نستطيع الاستغناء عن وجود التربة أحياناً فالحياة في المحيطات لا تتطلب وجود يابسة أو مراعٍ أو جبال،



Shutterstock

وبهذا الشكل صرنا نتحدث عن حياة بدون تربة! بدت الفكرة غريبة بعض الشيء في البداية، لكن بقليل من القراءة في أبحاث الفضاء أو حتى في أبحاث الأرض، تجد أن هناك إمكانية أن تظل الحياة موجودة على كوكب مائي تماماً، بدون تربة، وهو ما يحاول العلماء الكشف عنه، فلا مانع مثلاً من أن نجد عمليات تهجير مستقبلية إلى كوكب آخر لمجرد أن فوق سطحه ماء، وأن هناك بيوتاً يمكن بناؤها في الماء أو تحت أعماق سحيقة، وأن هناك حيوانات ومراعي خضراء يمكن إنباتها في الماء أيضاً. لكن بما أن الخيال متاح ومباح، لن أستمر في الانسياق خلفه، وعوضاً عن ذلك سأقدم تجربة أكثر واقعية يمكن أن نتقبل وجودها في حياتنا على كوكب الأرض بدون الحاجة إلى الهجرة إلى أرض جديدة. تعتمد الفكرة على استغلال الأسطح المنزلية أو حتى البلكونات الضيقة أو الأماكن الداخلية في المنازل، وحتى الأماكن غير المستخدمة في المصالح الحكومية أو الشركات في تكوين مزارع نباتية لا تعتمد على الطقس أو حتى على وجود تربة، فقط تعتمد على الماء. هذه التقنية معروفة باسم الزراعة بالماء وبدون تربة أو علمياً Hydroponic.

اجتماع أسري

مع ضغط الحياة وإيقاعها السريع أصبح الجميع يلهث وراء توفير لقمة العيش «هكذا نطلق على الأعمال اليومية»، ومع صيحات التحذير والوعيد بأن مواردنا المتاحة فوق الأرض لن تكفي احتياجاتنا اليومية من طعام وشراب، بدت الحاجة ملحة أمام العلماء في البحث عن سبل جديدة للزراعة بحيث تحقق كل أسرة اكتفاءها الذاتي من لقمة العيش، وتعتمد على نفسها في تحقيق معادلة الغذاء الصحي والطازج، بل وتصبح الأسرة أسرة منتجة بدلاً من كونها أسرة مستهلكة فقط، وبدت لي هذه الطموحات والأفكار بمنزلة حل جديد ووسيلة جديدة لكي تجتمع الأسرة العربية مرة أخرى في مواعيد منظمة وعلى هدف واحد، وأن يلتقي

الجميع دون الشعور بأن الوقت الذي يمضيه الأفراد في محيط أسرتهم هو وقت مستقطع بخسارة مادية، بل سيحتل أولوية ما في أجندة الأعمال اليومية عندما يتحقق خلال هذا الوقت استثمار للموارد المتاحة للأسرة بدون أعباء إضافية، فاحتياجات هذا المشروع لا تتكلف الكثير ولا تحتاج إلى الكثير من المتطلبات بل يعتمد في الأساس على البحث في الأشياء القديمة المستعملة، بغرض إعادة توظيفها من جديد.

القديم الجديد

هل قررت التخلص من حوض الاستحمام القديم وأن تستبدل به حوضاً كبيراً وحديثاً؟

إذن فكر مرة أخرى قبل أن تلقي به إلى الشارع، فهذا الحوض قد يكون نواة لمشروع يدر ربحاً، ويحقق اكتفاء ذاتياً من الخضراوات اليومية الطازجة مثل الخس، والبقدونس، والكزبرة، وإكليل الجبل، والريحان والجرجير، وغيرها من الأعشاب التي اندثرت من طعامنا على الرغم من فوائدها الصحية الجمة، ولكن ليست هذه كل المحاصيل التي يمكن أن نزرعها داخل الحوض القديم، فهناك المحاصيل الثمرية مثل الطماطم، والخيار، والفاصوليا والفلفل، وغيرها من المحاصيل التي لا يمكن الاستغناء عنها يومياً في كل الوجبات الثلاث، لكن هنا تزيد ميزة كونها طازجة ونظيفة وغير مسرطنة لأنها لم تعامل بالمبيدات، كما أنها تحت إشراف سيدة المنزل ورب المنزل وأهل المنزل جميعهم، فلها بالتأكيد مذاق خاص جدًا!!

يمكن إنشاء وحدات إنتاج للخضراوات على أسطح البنايات الضخمة وعلى منصات التنقيب عن البترول في عرض البحار وكذلك في الغواصات المائية

ولكن ماذا لو لم يكن لديك حوض استحمام قديم؟

هناك بدائل متعددة وكثيرة تتيح لك فرصة زراعة الخضراوات منزلياً حتى بدون أن يكون لديك مكان بالمعنى المفهوم أو مساحة تسمح للزراعة، فبعض المنازل لها أسطح كبيرة وخاوية، عادة ما تخصص لخزانات المياه أو لأطباق الاتصالات، واليوم ستضاف إليها مهمة جديدة وهي تحقيق الاكتفاء الذاتي من المحاصيل المهمة في التغذية، وعلى هذه الأسطح يمكن الزراعة داخل أنابيب تجري فيها المياه حاملة معها المغذيات السمادية للنباتات في دورة مغلقة وبحيث يصبح من الممكن الحصول على منتجات غنية وشهية من الخضراوات.


Shutterstock

ولكن ماذا لو لم تكن هناك أسطح في المنازل؟

أضف إلى قائمة البدائل المتاحة بديلاً جديداً وهو الأركان المنزلية التي عادة ما تتزين بنباتات للزينة لا يكون لها استخدام حقيقي، ناهيك عن ارتفاع تكلفة بعض أنواعها مادياً، وهنا يمكن البدء بتغيير مفاهيمنا عن التجميل المنزلي بالنباتات عن طريق أن نستبدل بتلك السلالات نباتات أخرى من المحاصيل ذات الاستخدامات اليومية، وبعضها له رائحة جميلة حقاً مثل الريحان، أو البقدونس، أو النعناع، الأمر الذي يضفي رونقاً ورائحة عطرية جميلة داخل المنزل، بل إن حواء بحبها للجمال يمكنها أن تستخدم بعض مواد تجميلها مثل «حجر الخفاف» الذي تستخدمه في الحفاظ على جمال قدميها لتزرع على سطحه نباتات ذات قيمة اقتصادية مفيدة!

كما يمكن الاستعانة بجزء قليل داخل المنزل في منطقة جيدة الإضاءة بجانب النوافذ لوضع وحدة إنتاج صغرى لا تتعدى مساحتها مترين مربعين إلى 3 أمتار

مربعة لإنتاج احتياجات أسرة مكونة من 3 أفراد إلى 5 أفراد اعتماداً على الزراعة من دون تربة.

من الفكرة إلى التطبيق

ما هي متطلبات الزراعة المنزلية؟

دعونا نتفق أولاً على أن أي مشروع بحاجة إلى طاقة تشغيل، هذه الطاقة متوافرة في المنزل لأنها قادمة من الكهرباء المنزلية والتي يدفع أجرتها رب المنزل شهرياً، وعادة ما تشكو الأسر العربية من أن الكهرباء لا يتم ترشيدها بشكل حقيقي، وأن جزءًا منها يتم إهداره بشكل كبير دون فائدة حقيقية، وهنا يأتي دور الزراعة المنزلية إذ تعد تدريباً جديداً لكل أفراد الأسرة على ترشيد استهلاكهم للطاقة حتى الطاقة الشمسية التي تدخل إلى منزلهم كل صباح. فالنبات كالطفل يحتاج إلى رعاية وملاحظة، ويبدو أن اهتمام الإنسان بشيء حي هو فطرة داخله يتعاطف معها ويهتم لأجلها وإلا ما زاد الشغف باقتناء الحيوانات الأليفة، أو حتى بوجود زراعات الزينة المنزلية، وعندما يرتبط الأمر بالغذاء فإن الاهتمام يزيد بطبيعة الحال. هكذا وفرنا أول مطلب لبدء التشغيل..

المشروع في خطوات ينبغي توافر الآتي:

1 الماء، موجود داخل كل المنازل.

2 الكهرباء، كما ذكرنا سابقاً.

3 خزان للسماد، حيث يتم وضع المحلول المغذي به مخلوطاً بكميات مناسبة وأنواع مختلفة من الأسمدة الزراعية التي تسمح بزراعة أكثر من منتج في الوقت نفسه وبالسماد نفسه.

4 أنابيب متصلة بالخزان وبها ثقوب خاصة تسمح للنبات بامتصاص المحلول المغذي منها، وهذه الأنابيب تشكل دورة كاملة تبدأ من الخزان المغذي وتمر بكل النباتات، ثم تعود إليه مرة أخرى حتى يتم تحميلها بالمحلول المغذي ثانية.

5 متابعة ومراقبة بالتناوب من أهل المنزل. ويفضل أن تجهز الأسطح لحمايتها بعمل صوبة من هيكل حديدي وتغطيتها بالبلاستيك، ومحاولة إضافة خلايا التبريد من الكرتون التي يمر عليها الماء، وهذا من جهة الشمال، وفي الجنوب يتم تركيب مراوح شفط لسحب الهواء الساخن من داخل المحمية ويحل محله هواء مبرد بالماء. وهذه وسيلة خفض درجة الحرارة بالمحمية خلال أشهر الصيف. كما أن هناك الفوائد التي يمكن الحصول عليها من تطبيق هذا النظام داخل الأسرة العربية يتلخص في نقاط عدة أولها حصول الأسرة على الغذاء، أو جزء منه، طازجاً ونظيفاً وخالياً من المبيدات، وهي بمنزلة تدريب عملي على ثقافة الترشيد، حيث نقطف ما نحتاج إليه فقط لإعداد الوجبة، بالإضافة إلى كونها تدريباً عملياً على الانتماء لجميع الأشياء حولنا وهي مصدر موفر لنفقات الأسرة، بل ويمكن أن يكون مصدر دخل للأسرة لو تم إدارته بصورة تجارية.

Shutterstock

لماذا الزراعة بدون تربة؟

هل ستصبح الزراعة بدون تربة حلاً جذرياً لمشكلة تناقص الغذاء وقلة الموارد، ومشاكل التغيرات المناخية؟ كان هذا السؤال المركب يحمل إجابة للسؤال الأساس، لماذا الزراعة بدون تربة؟

إنتاج الخضراوات منزلياً هو أحد صور التنمية المستدامة التي يتحقق من خلالها توافر بعض عناصر الغذاء الذي تستهلكه الأسرة بصورة يومية، ويكون المنتج طازجاً وبذا نحقق الأمن والأمان الغذائي.

والصورة الثانية للاستدامة هي اشتراك أفراد الأسرة في عملية الزراعة والعناية بالمزروعات، مما يحقق العديد من الفوائد الاجتماعية، منها بالأرقام والبيانات العلمية كما دلنا عليها الدكتور أشرف عمران، خبير الزراعة بدون تربة، ومدير مركز البحوث والتطوير في المجلس الاقتصادي الأفريقي:

1 الزراعة بدون تربة توفر المياه حيث إننا لا نحتاج أكثر من 10-15 % من كمية المياه المستخدمة في الزراعة التقليدية.

2 توفر استخدامات الأسمدة حيث لا نستهلك أكثر من 15- 20 % من الأسمدة المستخدمة في الطرق التقليدية.

3 قلة استخدام الأسمدة يجعل الزراعة بدون تربة صديقة للبيئة، حيث لا تستخدم فيها أسمدة كثيرة، وبالتالي تعطينا منتجاً آمنا صحياً نظراً لعدم وجود أي ترسبات من الأسمدة الزائدة بالثمار هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن عدم إضافة الأسمدة للتربة تمنع تلوث التربة وبالتالي نحمي تلوث المياه الجوفية بسبب ترسيب الأسمدة في الزراعة التقليدية لمياه المخزون الجوفي.

4 تقدم منتجاً نظيفاً وموفراً للعمالة المستخدمة لضمان عدم نمو حشائش، والتي يجب إزالتها بالعمال وبالتالي لسنا مضطرين لرش مبيدات حشائش.

5 توفير الوقت، حيث إن معدل نمو النباتات في الزراعة بدون تربة يمتاز بسرعة نموه. على سبيل المثال لإنبات الخس نحتاج من 25- 30 يوماً بالزراعة بدون تربة، بينما في الزراعة بالتربة الطبيعية يستلزم 60 يوماً إلى 70.

6 له ميزة تسويق حيث يوجد تماثل في الأحجام لجميع الرؤوس المنتجة لتشابه ظروف إنتاجها.

7 يمكن التحكم في ظروف الزراعة بدون تربة وإدارة عنصر التسميد بها، مما يضيف ميزة إلى مواصفات الثمار المنتجة لتكون في صورة أفضل بكثير من الزراعة التقليدية أو الزراعة في البيوت المحمية.

8 تزيد معدلات الإنتاج مقارنة بالزراعة التقليدية.

9 يمكن إنتاج الكثير من المحاصيل طول العام وبالكفاءة نفسها.

10 قلة استخدام المبيدات، حيث لا توجد تربة وبالتالي لا توجد آفات في التربة يجب مكافحتها.


Shutterstock

11 حل جذري لندرة الأرض أو سوء حالتها، حيث يمكن أن نقوم بإنشاء المزارع المائية على أي نوع من التربة سواء الملحية، غير الصالحة،أو التربة الصخرية.

12 حلول بديلة حيث يمكن إنشاء وحدات إنتاج للخضراوات حتى على أسطح البنايات الضخمة، وعلى بريمات التنقيب عن البترول في عرض البحار، وكذلك في الغواصات المائية، بل لقد استخدمتها وكالة ناسا في سفن الفضاء لإنتاج الخضراوات.



أما الميزة الأخيرة لهذه الطريقة، هي أنها تعد قاعدة اقتصادية استثمارية من الطراز الأول، لو فكرنا أن الشركات والمصانع حتى التي تعاني صعوبة ظروف العمل بها، يمكنها أن تحقق اكتفاءً ذاتياً من المزروعات اليومية بشكل صحي وطازج، وبشكل يحافظ على صحة العامل ويوفر نفقات تلك الشركة من مشتريات، أو من تأمين صحي، فإن الاستثمار في الزراعات المائية يعد المستقبل الأفضل بحق، إذ قدم لنا حلاً اقتصادياً دون الحاجة إلى شرحه بالمعادلات أو النظريات الاقتصادية الجافة والتي قد يصعب فهمها أحياناً.

من النبات إلى الحيوانات

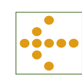
الطريف والعجيب أن تقنيات الزراعة بدون تربة يمكن استخدامها في الحصول على أعلاف صحية دون مبيدات، الأمر الذي يترتب عليه الحصول على لحوم وألبان دون سموم، إضافة إلى قلة المساحات المطلوبة لاستزراع تلك الأعلاف، الأمر الذي قد يعيد التخطيط الزراعي من جديد للأراضي الصالحة للزراعة بزراعتها بمحاصيل ذات أولوية ملحة مثل القمح والذي يعد محصولاً استراتيجياً، وغيره من المحاصيل الاستراتيجية مثل القطن.

وهناك أيضاً إمكانية لتطبيق قواعد ومتطلبات الزراعة نفسها بدون تربة من أجل الاستزراع السمكي والتنمية السمكية داخل أحواض معدة تماماً لهذا الغرض في أماكن غير مستخدمة، الأمر الذي يحقق زيادة إنتاجية كبيرة في اللحوم الطرية، وخاصة في البلدان المحرومة من وجود مسطحات مائية كبيرة، أو قد تفتح مجالاً جديداً في البلدان التي لا تعد فيها الثروة السمكية من ضمن قائمة سلعها التجارية الاقتصادية.

تبدو الأفكار طموحة، سهلة التنفيذ، وفيرة العائد، متعددة المزايا، فهل قررتم زراعة منزلكم اليوم؟

Shutterstock





قصة ابتكار

الكرة العائمة
اختراع لمواجهة الطبيعة

تُعد حوادث التسونامي من أبشع الكوارث التي تصيب السواحل في البلدان التي تضرب بها. وتعني التسونامي في اللغة اليابانية «تسو+ نامي» أي الموجة الكبيرة. ولليابان مع موجات التسونامي تاريخ طبيعي طويل، فمن أصل 796 موجة «تسونامية» ضربت اليابسة خلال القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين حلت 17 % منها بالشواطئ اليابانية. ولا تزال اليابان تتعافى من زلزال مدمر أصابها في مطلع عام 2011م وأعقبته موجات تسونامي، خلّفت دماراً هائلاً وأزمة بيئية نووية، وفاق عدد القتلى العشرين ألف شخص، بينما لا يزال ثمان آلاف شخص في عداد المفقودين. فيما اعتبرت حادثة فوكوشيما التي طالت المناطق الشمال الشرقية من البلاد؛ أسوء حادث نووي على الصعيدين البيئي والإنساني والاقتصادي منذ حادثة تشيرنوبيل في أوكرانيا في عام 1986م.

وفي حين لا تزال مهمة الحكومة صعبة في حل أزماتها المتتالية، اكتشف العالم الياباني كازومي هيراكاوا من جامعة «هوكايدو» في أثناء دراسته الطبقات الجيولوجية على المناطق المتضررة من الساحل الياباني؛ آثاراً لموجات تسونامي قديمة يشتبه بأنها آثار لزلازل كبيرة ضربت المنطقة منذ 100عام. لقد أثار هذا الاكتشاف خيال مجموعة من الشباب المهندسين الذين أدركوا أهمية إيجاد حل ذكي لإنقاذ أرواح الناس عندما تفتك موجات التسونامي التالية. وإذ لا ينتظر اليابانيون الحاجة لكي يقوموا بتنفيذ الاختراع، فكيف عندما توجد لديهم الحاجة لاختراعٍ ذي أبعاد إنسانية ووطنية طويلة الأمد.

ابتكر هؤلاء الشباب العشرة والذين يشكلون بعددهم المتواضع أفراد شركة يابانية صغيرة تُدعى كوزمو للطاقة؛ كرات عائمة تشبه الكبسولات ومتعددة الأحجام، مصنوعة من الألياف البلاستيكية والزجاج المقاوم للضغط «الفايبر جلاس». فيها نوافذ وثقوب للتهوية، وقادرة على استيعاب أربعة أفراد بالغين كحد أقصى. مصمّمة كي تعوم في الماء وقادرة على تحمل أمواج الفيضانات والزلازل وشدة الأعاصير، إذ أجريت العديد من اختبارات التصادم عليها وتم التأكد من نجاح الكبسولة الوظيفي. ويبلغ قطر الكرة التي أطلق عليها «سفينة نوح» حوالي أربع أقدام أي 1.2 متر تقريباً.



وعلّلت الشركة ألـوان هذه الكرات التي تشبه كرة التنس الزاهية اللون، لأسباب جوهرية جداً، وذلك حتى تبدو ماتعة للأطفال ويكون شكلها مألوفاً لديهم وكأنها غرفة للعب، وإذا وقعت الكارثة فهي مصمّمة لتكون دائماً عائمة، وذلك للحماية القصوى لمن فيها من الغرق والإصابات. فهي قادرة على أن تضم عائلة صغيرة لإنقاذهم وحمايتهم من التشتت ومن ثم الفقدان والضياع النفسي.

وبالرغم من أن هذا الابتكار ليس عالي التقنية، أي أنه غير مبهر كباقي الابتكارات الإلكترونية التي توردها اليابان للعالم إلا أنه ذو مضمون إنساني عظيم، وعليه لم يكن مفعماً بالحكمة القائلة «الحاجة أم الاختراع» فحسب، بل إنه مُنغمس فيها الى أبعد الحدود وفي إرادة مُفعمة بحب الحياة.

الجدير ذكره أنه وبعد مرور شهر واحد فقط على تدشين الكبسولات الزاهية تم بيع ست مئة «سفينة» بواقع أربعة آلاف دولار أمريكي للقطعة الواحدة، أي ما يُعادل 2500 يورو. ومما لا شك فيه أن هذه الكرة الصفراء هي باكورة صنف جديد من الاختراعات في سبيل مقاومة الطبيعة إذا ثارت.



قصة مبتكر

ستيفن جوبز صاحب الفضل في المكالمات المجانية



هو أحد المخترعين الذين ألهموا العالم في عصرنا الحديث، وأحد أهم أقطاب الأعمال في أمريكا، عُرف بأنه المؤسس والمدير التنفيذي السابق لشركة آبل ومن ثم عُين رئيساً لمجلس إدارتها حتى وفاته. وفي أثناء إدارته للشركة استطاع ستيفن جوبز أن يحدث طفرة تقنية في مجال التكنولوجيا من خلال ابتكار ثلاثة من أشهر الأجهزة للجيل الجديد وهم الآيفون، الآي باد والآيبود.

ولد جوبز في سان فرانسيسكو في 24 فبراير 1955 لأب سوري الأصل يدعى عبدالفتاح الجندلي، ثم عرضاه أبويه للتبني لصغر سنهما، فتبناه زوجان من كاليفورنيا هما بول وكلارا جوبز. ونشأ جوبز في كنف عائلته الجديدة، والتي كان لها الدور الفعال في صقل عبقريته المبكرة. كان جوبز شغوفاً بالإلكترونيات منذ صغره إذ انكب على تفحص الأجهزة التكنولوجية وطريقة عملها بولع. وكانت باكورة ابتكاراته في سني المراهقة أول شريحة إلكترونية رغم ضعف أدائه المدرسي. وأثناء دورة تدريبية قام بها لدى شركة «إتش بي». تعرف على شريكه المستقبلي فوزنياك ونشأت بينهما صداقة قوية، كانت أساساً ليحققا معاً أهم الإنجازات في عالم التكنولوجيا لاحقاً.

وبعد تخرجه في المرحلة الثانوية لم يحقق النجاح بالجامعة فرسب في عامه الأول لأن طموحه كان موجهاً نحو تنمية مهاراته في مجال الإلكترونيات، فقدم ورقة عمل بأفكاره لشركة «أتاري» الشهيرة كونها الأولى في صناعة ألعاب الفيديو في ذلك الوقت، وتمكن من الحصول على وظيفة مصمم ألعاب. وهنا عاود تجاربه مع صديقه فوزنياك لينتج عن تعاونهما جهاز هاتف يسمح بإجراء مكالمات بعيدة مجانية، انصرفا بعدها الى تحقيق حلمهما الكبير وبدآ العمل على حاسوبهما الأول بعد التضحيات المالية العديدة للحصول على رأس المال ليتمكنا من تأسيس شركتهما في العام 1976م التي سميت «آبل» نسبة إلى فاكهة جوبز المفضلة وإنتاج الكمبيوتر الجديد الذي أطلق عليه «أبل 1»، وليكسرا بذلك احتكار شركة «آي بي إم» لصناعة الكمبيوتر. لكن تطوير هذا الكمبيوتر كان مكلفاً جداً على ميزانيتهما مما دفعهما لإقناع مايك ماركولا وهو مستثمر محلي بتوفير مبلغ ربع مليون دولار أمريكي.. وهكذا أصبح الثلاثي جوبز وفوزنياك وماركولا أعلام شركة أبل وبفضل اختراعاتهما تحولت الشركة الصغيرة في مرآب المنزل الخلفي إلى إمبراطورية تبلغ قيمة أصولها وفقاً لبورصة نيويورك 346 مليار دولار.

في بداية الثمانينيات اكتشف جوبز القيمة التجارية لأنظمة تشغيل الكومبيوتر بالرسومات والتصاميم بدلاً من طباعة الأوامر باستخدام لوحة المفاتيح وليعود الفضل إليه في اختراع فأرة الحاسوب. وبعد أشهر من هذا الإنجاز نشبت خلافات داخلية عنيفة انتهت بترك جوبز للشركة، مما دفعه إلى إنشاء شركة جديدة اهتم فيها بتطوير البرامج ذات الإمكانيات المتطورة المكملة لأجهزة الحواسيب الشخصية، والتي كانت الأساس لنظام تشغيل جهاز الكومبيوتر الحديث. وفي عام 1986م قام بشراء قسم الرسومات الثلاثية الأبعاد في شركة «لوكاس فيلم» ليحولها إلى شركة «بيكسار» التي أصبحت إحدى أكبر الشركات المنتجة لأفلام الكرتون ثلاثية الأبعاد، والتي قدمت أكثر الأفلام نجاحاً في تاريخ هذه الصناعة مثل فيلم «وولي» و «أب»، وبقي جوبز مديراً تنفيذياً لبيكسار حتى صفقة الاستحواذ التي تمت من قبل شركة والت ديزني وانتقل على إثرها ليكون عضوًا في مجلس إدارة الأخيرة. ولجوبز الفضل في ابتكار مجال جديد لأفلام الكرتون عندما دمج الرسوم المتحركة مع تكنولوجيا الكمبيوتر الحديثة.

تحول اهتمام جوبز بعد مغادرته آبل إلى التصميم وتوقف عن تصنيع أجهزة الكمبيوتر ليكتفي بإنتاج البرامج، في الوقت الذي تداعت فيه شركة آبل ولم تجد طوقاً للنجاة سوى جوبز إلى أن عاد إلى قيادتها في عام 1995م، وفي عام 1997م تم تعيينه رئيساً تنفيذياً مؤقتاً لآبل ليدخل بهذا التعيين قائمة جينيس للأرقام القياسية كأقل الرؤساء التنفيذيين تقاضياً للراتب في العالم براتب شهري قدره دولار واحد سنوياً!

بصمة المخ.. شاهد إثبات لا يخطئ

شاشة كمبيوتر تعرض أمامه حدثًا ما، وليكن مثلاً كلمة أو جملة أو أداة جريمة كالسكين التي استخدمها في القتل، فتومض أمامه على شاشة الكمبيوتر، من هنا فإن النشاط العصبي في دماغه سيكون متزامنًا، ويصدر موجة كهربائية يمكن قياسها عن طريق أجهزة إحساس على الرأس، وفي حال وجود معلومات عن الجريمة في ذهن متلقي هذه الموجات تعطي إشارة بشكل تلقائي على شكل منحنى بياني والعكس.

وثمة فرق بين بصمة المخ والبصمة الوراثية DNA، إذ إن 99 % من الجرائم التي يتم الكشف عنها بواسطة DNA يمكن فيها استخدام بصمة المخ، وليس العكس، فالبصمة الوراثية لا بد أن يترك فيها أثر بيولوجي مأخوذ

بصمة المخ هي تلك الموجات والإشارات التي يتم من خلالها الحصول على معلومات عن الجريمة الموجودة في ذاكرة الإنسان، والتي يتم تسجيلها وتحليلها عند استرجاع هذه المعلومات عن طريق الحاسب الآلي، فيوضع المشتبه فيه أمام

من المشتبه به، ويتم الربط بينه ودليل بيولوجي آخر وجد على مسرح الجريمة، أما بصمة المخ فليس لها أي علاقة بالأثر البيولوجي. فالدليل في بصمة المخ يكون عبارة عن معلومات يتم الكشف عنها إذا كانت موجودة أم لا، بخلاف البصمة الوراثية.

أيضاً ثم فارق جوهري بين تتبع بصمة المخ وجهاز كشف الكذب، فعمل الأخير يعتمد على أن الشخص الذي يكذب يزداد قلقه، فضلاً على تغييرات عاطفية أخرى تظهر في عدد من المتغيرات النفسية بصفة تلقائية، أما النظام القائم على استجابة المخ فإنه لا يقوم بشيء حيال الكذب أو استجابة الضغط العصبي، بل يقوم بالتحقيق عن المعلومات الموجودة في المخ والكشف عنها بأسلوب غير عدواني وخالٍ من الضغط العصبي. كما أن بعض الأشخاص لديهم القدرة على خداع جهاز كشف الكذب، بكبت ردود أفعالهم النفسية عن الأسئلة الحساسة بالتدريب، أو التكرار، أو عن طريق تشتيت ردود أفعالهم في الإجابة عن الأسئلة عن طريق قرص أنفسهم مثلاً أو عض ألسنتهم. أما بصمة المخ فلم يوجه لها نقد حتى الآن، لأنها إشارة أوتوماتيكية تلقائية، فالمخ هو الذي يتحدث وليس الشخص، فهي إذن شاهد لا يخطئ.

د.هاني طايع



الملف المصوّر

فواز هشام شمّا

نفتح أبواباً ملونة،
صاخبة بالفرح، وبقصص
الزمن الجميل.
حيث اللون زينة،
وخزينة..
زينة على معصم حسناء،
خزينة بين مقتنيات
قديمة.
من اللون وبهجته
نقتنص الجمال من
التراث.

فواز هشام شما مهندس أردني من مواليد عمان 1983م. حاصل على بكالوريوس في التصميم الداخلي من جامعة العلوم التطبيقية في عمان. من هواياته تصميم الشعارات والرسم، والتصوير. عمل أستاذاً في مجال التصميم، ومحاضراً في مادة التصوير الفوتوغرافي والرسم الفني في الجامعة الألمانية الأردنية من عام 2007 حتى 2011م. شارك في العديد من المعارض الفنية والتصوير الفوتوغرافي.



لا أعرف من القائل الأول لجملة «الصديق وقت الضيق»، لكن بسببها، ربما، خسر كثير من الناس أصدقاءهم، لأنهم لم يقفوا معهم في وقت ضيقهم، ولم يترجموا تلك المقولة لواقع ملموس. فهل حقاً تصدق هذه المقولة؟!

الصديق ليس في وقت الضيق!

كنت دائماً أغالب هذا الرأي.. فماذا لو كان صديقي في وقت ضيقي يمر بضيق مماثل، وبالتالي لا يستطيع أن يقف معي ذلك الوقوف الذي يترجم حقيقة صدقه وصداقته لي. وربما وجدت أن بعض من يسعفهم الحظ ليقفوا معك في وقت ضيقك ليس هم بالضرورة أولئك الأصدقاء الحقيقيون.. بل ربما الظروف منحتهم على طبق من ذهب فرصة ذلك الوقوف.

من الظلم أن نجعل العبارة السابقة معياراً للصداقة الحقيقية، فهناك أشخاص مولعون بأوقات الضيق.. يحبون أن يكونوا قرب المآسي والدموع والمشاكل. وربما منحوك أقصى ما يستطيعون من تعاطف، وأقصى ما يستطيعون من أفكار وحلول، ويظهرون حبهم لك أكثر عندما تواجه مشكلة ما، بينما عندما تبتسم لك الحياة فإنهم ينسحبون بغضب صامت دون أن تعرف السبب!

هناك أصدقاء تقتلهم الغيرة من نجاحاتك ويسوؤهم كثيراً فرحك، لذا هم يهربون من الساحة تاركين إياها للصديق الذي ليس في وقت الضيق.. لذلك الصديق هو الذي يفرحه فرحك ويسره نجاحك. وربما ضايقك هروب ذلك الصديق الذي يحضر وقت الضيق، ولم يبدِ عذراً وجيهاً لتخلفه عن حضور لحظة يشاركك فيها لذة نجاحك، لكنك، بالرغم من ذلك، التمست له العذر أكثر من ذلك الصديق الذي لم يستطع أن يواجهك في حزنك وفشلك.

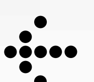
تحتاج منّا بعض الأحكام العامة إلى تروٍّ وحكمة، فليس من العدل أن نحكم على علاقة إنسانية من خلال مقولة شائعة، ونجعلها شرطاً للصديق الحقيقي دون أن نتساءل: لماذا فلان يقف معي في هذه اللحظة الحزينة بالذات؟ ولماذا يهرب من أن يشاركني في تلك؟ أو العكس ؟!

عندما تجد إجابات منطقية ومقنعة لتساؤلاتك، بالتأكيد لن تكون أحكامك على أصدقائك بناءً على قانون مُعلّب ومستهلك، تداوله الكثيرون وحفظوه جيداً وعملوا به ليكونوا من أولئك الأصدقاء النبلاء، بينما النبل منهم براء.

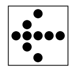
ميرة القاسم
شاعرة إماراتية

Shutterstock

هل أنت عاطفي أم عقلاني؟



ماذا يعني أن تكون عاطفياً؟ ولماذا اتخذت العاطفة ميداناً للصراعات الفكرية والعقائدية؟ وما الذي تستثيره العاطفة لحظة التفكير فيها؟ وهل لها اتجاه ما على أساسه يمكن تقييم الآخرين؟ لا نظن أن ثمة إمكانية لتقديم إجابة مرضية وشافية، لكنها محاولة من الباحث إبراهيم محمود الذي يدرس هنا مختلف السلوكيات والعواطف وآليات التفكير راصداً الفروق بينها وموضحاً دلالاتها.



تتحدد العاطفة بأنها شعور يتراوح بين الشدة والهدوء، بين ما هو ظاهري وما هو باطني، من جهة الباعث، إنه شعور يعرَّف بالانفعال الذي هو حالة نفسية داخلية، يتعرض لها الإنسان، بحيث يستجيب لأي مؤثر داخلي أو خارجي، وفق سلوك معين ظاهري أو خفي، سواء كان قولاً أو فعلاً. حيث لا عاطفة إلا بوجود مؤثر، ولا عاطفة إلا بحضور نشاط تفكيري، وليس من تفكير إلا ويكون له ظل ما، هو ظل العاطفة.

بين العاطفة والتفكير

يقال أحياناً: إن فلان عاطفي جداً، وذلك في سياق النقد السلبي.. فماذا يعني أن نكون عاطفيين؟

ربما، يعني أن الحضور الفكري في أنشطتنا اليومية قليل نسبياً، فعندما نتعامل مع حالة، أو ظاهرة ما، تتقدمنا عواطفنا أكثر مما تتقدم عقولنا، وتثقل علينا أي مهمة مستجدة، يعني أننا في تعاملنا مع متغيرات العالم الخارجي، ننساق وراء المؤثرات الحسية، بينما قوانا العقلية، تبقى في الخلف. فهل هذا صحيح؟

من خلال بعض التجارب في الحياة الاجتماعية والثقافية والكتابية يقول أحد الباحثين: «هذا صحيح وليس بصحيح! يكون ذلك صحيحاً، عندما يتهمني أحدهم بأنني عاطفي، أي أنني أعتمد لغة العاطفة، أكثر مما أعتمد لغة العقل، كما لو أن للعاطفة لغة، وأن اللغة التي نتكلم بها، غير اللغة التي تجلو بها عواطفنا، من جهة الفصل، وأن نشاطي الفكري معاق من قبل متراس عاطفي أو أكثر، فتكون سلبيتي جلية في الحياة.

ويكون ذلك غير صحيح، لأنني عندما أكون عاطفياً، لا يعني أنني أمارس تقليلاً من نشاطي الفكري، أنحّي عقلي جانباً، بقدر ما أعتمد ممارسة خاطئة للعاطفة ذاتها، ففي الحالتين تكون العاطفة موجودة، وفي الحالتين كذلك، يكون العقل حاضراً».

لقد جرى اختزال للعواطف، مثلما جرى سوء فهم للعقل في حياتنا اليومية، إلى درجة أن التمييز المفصلي بيننا وبين الغرب.يتمحور حول هذا الفهم: فيقال أن الشرق عاطفي مقابل الغرب العقلي المادي.

عجباً.. هل الشرق بعيد عن المادة، وهل الغرب بعيد عن العاطفة حقاً، عبارة عن مجموعة الأوامر والنواهي المنتظمة ميكانيكياً؟ أوليس الفيلسوف الغربي كانط، منذ مئتي عام، ركز على ضرورة التفكير الفلسفي قدر المستطاع، والقيام بأي واجب، بعيداً عن العاطفة، مبرزاً بذلك مدى حضور العواطف في الأنشطة اليومية لأفراد مجتمعه، وهو صاحب (نقد العقل المحض) و(نقد العقل العملي)؟

لقد جرى الركض كثيراً وراء الأفكار التي تُعدُّ صحيحة، ومقاومة ما عداها، وكأنها خلافها، مثلما جرى التغاضي عن الأفكار التي عُدت خاطئة، ومن ثم التشديد على الزيف فيها، كما لو أننا إزاء عملية حسابية في الجمع والطرح وسواهما.

في الحالتين يكون الخطأ قائماً، ثمة نقص في العاطفة التي تكفل بقاء المرء حياً بإنسانيته وأحاسيسه، وحياً بين أفراد المجتمع، وحياً بما هو مبدع ومتنوع الأبعاد إنسانياً في عالمه. إن المشكلة تكمن في سوء التقدير العاطفي للعاطفة.

1 التسلسل عاطفي

أن أكون أباً، أو أن تكوني أمّاً يعني أن نعيش صلة قربى مع الأهل والأولاد. إن عاطفتنا تكمن في تغذية الصغار، بالطريقة التي تريحهم، وتنمي فيهم القدرة على التفكير، من جهة اعتبارهم متساوين، أن نولّد فيهم الشعور، بأن ما يعيشونه هو شعور بالعالم، ولكنه شعور يفتح أمامهم الطريق لرؤية ما هم عليه من الداخل، وما هم عليه في الواقع، وليس من قدرة مؤهلة على ذلك سوى التفكير السليم مشفوعاً بالعاطفة التي تسجننا داخل أنفسنا، بقدر ما تضعني في قلب المجتمع.

2 تأتي المدرسة، لتكون حصتها من العواطف أكثر تنوعاً، كما تشدد على ذلك المناهج المدرسية والتربوية. ثمة معلم معبأ بالعاطفة، لكن عقلاً يتخللها، إن القدرة على تنمية العاطفة، أي عاطفة هنا، تتأكد في طريقة توطيد الصلات بين لحظة الشعور بالسعادة ولحظة التفكير بالتنطع لمهمة دراسية تكون السعادة ثمرتها. فالتصفيق هو حالة شعورية: عاطفية، ولكنها لا تنعزل عن التنمية الحاصلة في التفكير.

3 تمتد إلى المجتمع، فأن أعايش الآخرين، أن أعيش ما يعيشونه، يعني أنني أستطيع التنفس بكامل جسدي عاطفة وشعوراً، أن لا يكون شعوري سبباً لاستباحة فكري، ولا يكون فكري عاملاً لكراهية عاطفة ما تخصني.


Shutterstock

تنمية العواطف

ليس العاطفي هو من يضحك أو يبكي كثيراً. عندما نقرأ ونشاهد، من يوغل في الضحك المتواصل، بسبب أو دون سبب، أو يمضي طويلاً في البكاء وجلد الذات، كما لو أنه خلق ليبكي فقط؟ لا علاقة للعاطفة بمن يبكي أو يضحك كثيراً أصولاً مطلقة، إن هذا يعود إلى تنمية العواطف.

الذين يتصفون بسرعة البكاء، ليس لأنهم عاطفيون، بل لأنهم لم يعيشوا ولم يجسدوا إلا القليل من العواطف التي تضعهم في قلب المجتمع، وفي مواجهة أنفسهم

إن الظروف والتحديات التي تواجهنا، تضعنا في مواجهة جملة عوائق نعيشها من الداخل، وهي عوائق تخص عواطفنا بالذات، وصلة العواطف بنا كبشر، يمكنهم أن يفكروا جيداً لو أنهم استشعروا إنسانيتهم جيداً، أن يفهموا مكانتهم في الكون، وهم يبكون ويضحكون باعتدال.

ليس منا من لا يضحك ومن لا يبكي، ثمة ما هو أبعد من الضحك والبكاء اللذين يتقاسمان جملة العواطف التي نعيشها: غضباً وفرحاً، سعادة وتعاسة، نجاحاً وفشلاً، انتصاراً وهزيمة.

فإننا عندما ننتصر في ميدان التغلب على عائق، أو دحر عدو ما، أو القضاء على طاغية ما جماعياً، لا يعني أن نسلم القياد للضحك، أو لجملة العواطف التي تصب في خانة النصر، العاطفة المعلومة هنا، لا علاقة لها البتة بالنصر، إنما نحن من نعاني خروجاً إلى الآخرين، من نعلن أننا لم نعد كما كنا، وأن ليس في مستطاع أي كان للنيل منا، بعد الآن. العقل هو الذي يقرر ذلك، لكن العاطفة التي لم تأخذ حقها في التعبير، بقدر ما أسيء استخدامها، هي التي صورت لنا ذلك.

كيف لي أن أنمي العواطف؟

ربما لا تكون العواطف ممكنة البقاء، وذات دور في المجتمع، إلا عندما نعرف أن ثمة الكثير مما يضعنا في مواجهة أنفسنا. أن أكون عاطفياً هو أن أعيش ما دون العاطفة التي تلزم لمشاركة الآخرين في أفراحهم وأتراحهم، ويعني ذلك، أنك عندما تُنتقد بأنك إنسان عاطفي، فليس لأنك تعيش حرارة العاطفة أكثر مما يجب، إنما تنتقص من قيمة عواطفك، وتعتمد القليل منها.

إن الذين يتصفون بسرعة البكاء، ليس لأنهم متطرفون عاطفياً، وإنما بالعكس لأنهم لم يعيشوا ولا يجسدوا إلا القليل من العواطف التي تضعهم في قلب المجتمع، وفي مواجهة أنفسهم.

إن ذلك ينطبق على الضحك، مع فارق الاتجاه، حيث البكاء يأخذنا نحو الداخل عميقاً: نحو الهاوية، والضحك، بالعكس، يأخذنا نحو الخارج، إلى درجة التلاشي عن أعين المحيطين بنا. في الحالتين لا نبصر أنفسنا: عمى البكاء من الداخل، وعمى الضحك من الخارج.

في الوضع المذكور هذا، يبرز الغربي (إن جارينا الذين يعتبرون الغرب مادياً بفكره، والشرق عاطفياً في سلوكه)، أكثر قدرة في التعبير بعواطفه، إنه عاطفي إلى درجة صعوبة التمييز بين حد العاطفة وحد العقل، كما يقال. تلك طريقة في العيش والتعايش. في حالتنا، هل نحن حقاً، نتواصل على أساس العواطف، بدءاً من الطفولة ، وانتهاء بالكهولة؟

إذ ندعي أننا عطوفون تجاه الأهل والصغار، نعيش الحد الأدنى من العواطف المطلوبة، لا بل والجاري تشويهها فهماً ومعايشة. فتأثرنا الشديد ببكاء طفل في وسطنا، لا يعني أننا عاطفيون، وإنما بعيدون عن حقيقة العاطفة. العاطفة لا تجعلني أقف حزيناً إزاء موجوع، وإنما أهرع إليه، بالطريقة التي تحرره من الوضع الذي يعيش فيه.

في مثال آخر: إن ميلنا إلى التلميذ الصغير النجيب، لأنه يتمتع بقدرات عالية ملحوظة ذكاء وإبداعاً، إلى درجة التعجب، وإظهار مشاعر الحب له، والاهتمام به لا يعني أننا عاطفيون معه، وأننا نسلك السلوك السليم معه، بالعكس، إنما نتحرك عكس ما تتطلبه عاطفته الطفولية من حيث ما يريده هو ككائن يتقدم نحو سن الرشد، من المعلمين والمربين والمشرفين على نموه المدرسي، عندما نحيطه باهتمام زائد، كما لو أننا نريد توقيفه، بينما نحن نرغب في تأكيد تقديرنا له، ولكن التصرف الذي نمارسه هو في الحقيقة إعاقة لنموه النفسي من الداخل، إذ علينا أن نفرح لما هو عليه، ولكن لا نحاصره بكلمات مثل: أحسنت .. ومرحى، وتصفيقنا التعزيزي له، وكأنه اكتشافنا الذاتي، بينما نريده مختلفاً، وأن نتعلم منه. هذا يعني يجب التقليل، ما أمكن، من فورة عواطفنا، لأن ذلك يكفل له رؤية أكثر قيمة ودافعية.

أما على الصعيد الاجتماعي، فالأمثلة كثيرة، من جهة المشاكل والمحن والنكبات التي تواجهنا ونعجز عن التغلب عليها. مثل فقدان من نحب، وتهويل حالة الفقد هذه، لا يعني أن نظهر ما

Shutterstock


Shutterstock

يعبّر عن هذه الفاجعة، سواء بالبكاء المفرط، أو بسلوك آخر، إنما نظهر العاطفة التي تبصر بنا الطريق، لئلا نشعر بأننا ضعفاء، ونحن نسلك طريق الحياة. إن المزيد من التهويل، لا يعني مطلقاً، المزيد من الإدرار العاطفي، وإنما الحد الأدنى، الذي يستوجب مواجهة الحالة المستجدة.

كلنا بكاؤون. نعم، هذا صحيح، ولكن البكاء لا صلة له من جهة السبب بالعاطفة، إنما من جهة النتيجة، نتيجة تصور الحالة، وطريقة تلقي النداء العاطفي بطريقة مبالغ فيها. هذا ينطبق على الكوارث الاجتماعية، على الحروب المدمرة، على الجائحات المهلكة جماعياً.

> العاطفة لا تجعلني أقف حزيناً إزاء موجوع، وإنما أهرع إليه، بالطريقة التي تحرره من الوضع الذي يعيش فيه

يكون التعامل مع هذه، بالحدة ذاتها، عبارة عن حالة محاكاة، قياساً، أو ارتقاء بالنفس لأن تكون في معرض الهلاك، وكأننا نحكم على أنفسنا بأنفسنا بالموت الزؤام، أو بفناء من نوع ما. على صعيد تنمية العواطف، نرى أنه كلما كانت المصيبة كبيرة ونافذة المفعول، تطلب الأمر الحد الأدنى من التمثيل العاطفي، أو التعاطف خارجاً.

إن ذلك مجال حي، لجعل العقل يمارس حقه أكثر من التفكير، ومنع النفس من فقدان التوازن، والوقوع في أخطاء قد تكون موجعة أكثر، أكثر من هذا، لكي يتسنى للعاطفة التي تلزم، في أن تكون عنصر دعم لأي نشاط فكري، لما من شأنه معايشة ما نحن فيه، بإيجابية أكثر.

ثمة من يعتبرنا عاطفيين، لأن ثمة ثقافة، تختزن تاريخاً طويلاً من العواطف، كما يقال، وثمة من يتهمنا بالعاطفية، لأن ليس من مجال للتعايش إلا ضمن سلوكيات لا تصلح لبناء مجتمع متقدم.

هذا، أو ذاك، ليس من العاطفة، بشيء، إذ ما أبعدنا عن عواطفنا، ونحن نفكر فيما هو عواطفي، وكأن العاطفة هي سقط المتاع، مشاع نفسي ليس إلا، إنها لا تنعزل عن جملة الجهود الفكرية في داخل كل منا، حيث تتعرض لتنمية زمنية، أو عمرية، كما تقول مجريات حياتنا اليومية. أن نكون عاطفيين، هو أن نحسن استخدام العقل من الداخل، وليس أن ننجرف في تيار العاطفة فقط.

العاطفة في الكتابة

يمكن التعرض للعواطف في جملة أصنافها، فمن خلال الكتابة يُعرف عن الشاعر بأنه كائن لا يعيش إلا بالعاطفة، فالعاطفة هي المداد النفسي له، فيها يربي مخيلته، وليس من شاعر إلا وهو عاطفي. هل نقول ذلك، لأنه يتعامل بالصور؟

ليس كل الشعراء سواسية، سوى أنهم يحولون العالم إلى مجموعة من الصور البيانية، يعتمدون متخيلاً واسعاً، كما لو أن الشعر حقاً من الشعور، وهذه جنحة في المفهوم، ففي اللغات الأخرى ليس من تقابل بالصيغة هذه. ماذا يعني أن يكون أحدهم شاعراً وهو يتفكر ما حوله، لكي يبدع في قصيدة ما، حيث الشعراء أمم ونِحل وجماعات ومذاهب واتجاهات. تبقى القدرة على نفاذ البصيرة في مقدار التقابل والدمج بين كل من الخيال العاطفي بنسبة معينة، والخيال الفكري بنسبة محددة أخرى، وبحسب الموضوع، والمكان والزمان. ولو أن الأمر توقف على العاطفة، كما هي مفهومة، لما كان من تكور في الشعر، أو تطور فهم الشاعر للعالم من حوله. الشعراء أفراد يفكرون، ولهم عواطفهم كذلك.

أفكار مجنونة..
ابتكارات مع وقف التنفيذ

هل الحاجة أمُّ الاختراع، أم أنَّ الفراغ هو الأرض الخصبة للاختراعات؟ في حياتنا اليومية تصادفنا، أحياناً، الحاجة إلى التفكير في اختراعات لم تُخترع، وأحياناً أخرى يدفعنا الفراغ إلى التفكير في اختراعات لم تخطر على بال، أقل ما يقال عنها إنها أفكار مجنونة. بين الفكرة المجنونة والاختراع شعرة. ريم السبيهين وسارة عفيفي تسلطان الضوء على الشعرة التي بين الجنون والإبداع، وتستنطقان عدداً من الأشخاص حول أفكارهم المجنونة التي تراودهم لاختراعات وابتكارات غريبة.

ألم تراودك ذات يوم فكرة مجنونة أو اختراع أو ابتكار أو محاولة اكتشاف متهورة؟! أم أنَّ الخوف والخجل يعصمانك عن البوح؟! لكلٍّ منا أفكاره وهلوساته التي لا يصرِّح بها أحياناً خوفاً من أن يُتَّهم بالجنون أو الغباء، لذا تظل الفكرة في ركن قصي حتى الموت.

الفكرة في قفص الاتهام

إن طرح الفكرة، عادةً، يتطلب الثقة والإيمان بها، فماذا لو كانت هذه الفكرة غريبة وغير مطروقة؟ عندها ستحتاج إلى الكثير من الجرأة والصمود في وجه من ينفيها، لذا كان العظماء وأصحاب الأفكار الخلاقة والاكتشافات العجائبية عرضة للانتقاد والاتهام بالجنون أو الكفر، أحياناً، من قبل محيطهم.

عندما بدأ سيدنا نوح، عليه السلام، بصنع سفينته، وصمَه مجتمعه بالعته والجنون. وعندما قال غاليليو إن الأرض تدور، قامت الدنيا من حوله ولم تقعد، واتهمته الكنيسة بالكفر، وحكمت عليه بالموت ما لم يعد عن فكرته حول الأرض ودورانها. ولم تكن ردة فعل المحيط الاجتماعي حول الأخوين رايت مختلفة عن ذلك عندما قاما بتجاربهما في الطيران. كذلك عندما تحدَّث توماس أديسون مخترع المصباح الكهربائي عن فكرته. كما أن مكتشف الموجات الكهرومغناطيسية غوليلمو ماركوني أُقتيد إلى مستشفى الأمراض العقلية بعد أن تحدَّث عن نتائج أبحاثه.

على المبدع أن يعرف الأسباب التي تدفع المجتمع لقمع فكرته في منشئها، وذلك ليكون قادراً على الاستمرار في ظل غياب الدعم المعنوي، كما يجب عليه أن يتبنى ثقافة الاختراع والابتكار التي تتجلى في التخطيط السليم، والدراسة المتأنية، والعمل الجاد في ظل الإمكانات المتوافرة والمتابعة المستمرة.

لماذا يرفض المجتمع الفكرة الأولى؟

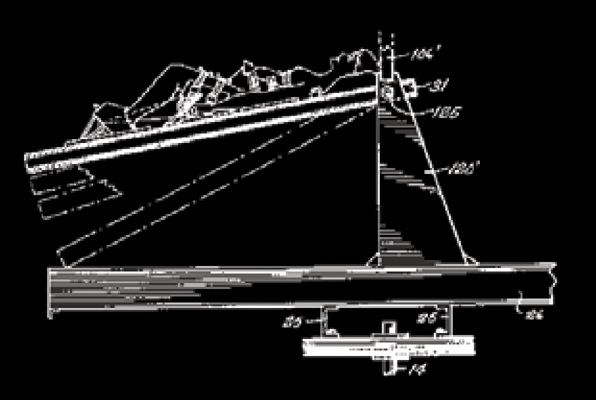
يرجع بعض الباحثين هذا السلوك السلبي إلى الميل الفطري في البشر لمقاومة كل ما يشكِّل تهديداً لحياتهم ويدفعهم للخروج من منطقة المألوف. إن الشخص الذي يبحث عن التغيير من دون أن يكون مأمون العواقب، حتماً سيواجه نقداً شديداً لا يهدأ حتى يشعر من حوله بالأمان والثقة. كل ما على صاحب الأفكار هو السير قدماً في طريقه وعدم تحميل من حوله عبء المسؤولية تجاه ما يفعل، بل ينتظر بصبر أن تتحدث نتائج أفكاره عنه.

أغرب الأفكار

كثيرة هي الأفكار الغريبة والمبتكرة التي طرحها الناس الأكثر جرأة أمام أصدقائهم أو معلميهم، وبدلاً من التشجيع أو حتى اللامبالاة وعدم إظهار الدعم، تجد هناك من يُقزِّم الفكرة ويضع أمامك العراقيل من دون أن يعرف أنه قد يقتل مشروعاً عظيماً أو فكرة ربما ستخدم البشرية. ولعل فريدريك سميث عندما طرح فكرته حول البريد السريع بدعم لوجستي أمام أستاذه في الجامعة في منتصف الستينيات الميلادية كان واحداً من أولئك الذين يملكون أفكاراً مذهلة وغير اعتيادية. لكن أستاذه ردَّ عليه بأن هذه الفكرة غير قابلة للتطبيق. كان هذا في منتصف الستينيات، لكن في عام 1971م أسس فريديرك شركة فيدكس التي عُدَّت من أكبر شركات الشحن والنقل.

وبما أنَّ كثيراً من الناس تراودهم أفكار جريئة وغريبة، توجهنا إلى عدد من الأشخاص في مراحل عمرية مختلفة بالسؤال المُلِح عن أغرب الأفكار التي راودتهم.

أبو خلدون.. هكذا أراد أن يكون اسمه، يقول: كنت أفكر في عملية الولادة، لماذا لا تتم بالطرد المركزي للجنين من رحم الأم، وذلك لتسهيل الولادة بأن يخف الضغط عن الأم؟



ربما تبدو الفكرة لأول وهلة مجنونة، ولكن فكرة أبي خلدون ليست جديدة، فقد طرقت في الخمسينيات الميلادية من قبل زوجين أمريكيين، لكنهما أُتهما بالجنون والقسوة. كما أن هذه الفكرة نهضت من سباتها، وطُرحت مرة أخرى في الستينيات الميلادية، وأرفقت معها الخطوط والرسومات التوضيحية، وأخذت صاحبة الفكرة براءة اختراع عليها، لكنها لم تطبق إلى الآن.



أريج عبدالله.. ترددت كثيراً قبل أن تصرّح لنا بفكرتها المجنونة تقول: هي ليست مجنونة تماماً لكنها غريبة. أفكر دوماً في سعر متر الأرض، وتصميم المدن. لماذا يكون سعر الأرض أفقياً فقط، لماذا لا يكون عمودياً أيضاً؟ مثلاً أشتري مساحة صغيرة من الأرض بينما أشتري مساحة أكبر من السماء. وتكون امتدادات مبناي كما أريد، يكون ضيقاً من الأسفل ومترامي الأطراف من الأعلى، بينما جاري يكون العكس. لماذا البيوت مربعة أو مستطيلة أو دائرية؟! بحيث تكون المنازل أشبه بقطع البازل.

كثيراً ما تجد من يُقزّم الفكرة ويضع أمامك العراقيل دون أن يعرف أنه قتل مشروعاً عظيماً أو فكرة ربما خدمت البشرية

أعرف أن العملية معقدة هندسياً، لكنَّ هناك أناساً سيحتاجون إلى السكن في الطابق الخمسين لكنهم لا يريدون الطوابق التسعة والأربعين السفلى. لا تقولوا لي بناية وأدوار متعددة، بل فكرتي تعتمد على أن لكل مالك مبناه المستقل.

ربما كانت فكرة أريج تدور حول العمارة المستقبلية من دون أن تدري. وما تفكر فيه يحتاج إلى ثورة هندسية جارفة، بحيث تصبح المنازل ذات تفاصيل يصعب حلها، بحيث تكون مرتبطة وغير مرتبطة. لم ننتقد الفكرة لكنها بالتأكيد تحتاج إلى تطوير.

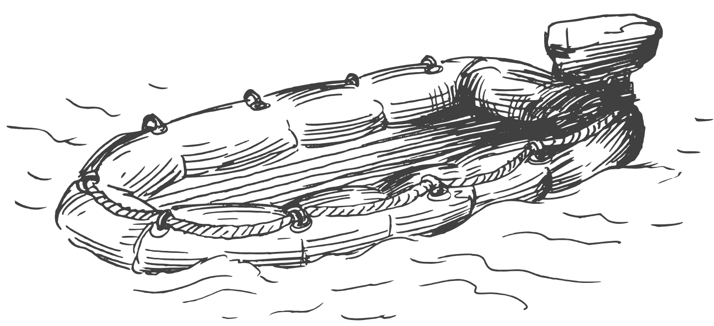
أما محمد، وهو شاب صغير على عتبات المراهقة، تحدَّث عن فكرته الغريبة بقوله: لماذا لا توجد مطاعم لشاورما لحم الضب، ويضاف لها الفقع وبعض الحشائش الربيعية التي تؤكل، وتزين أكشاك شاورما الضب بأنواع وأحجام محنطة من هذا الزاحف. وتكون هذه الوجبة موسمية ولها مهرجان، يقام في أمكان تجمعها.

إن فكرة محمد عن مهرجان الضب الذي يبدو للكثيرين مقززاً ومخيفاً، فكرة طريفة جداً، خصوصاً أن بعض الدول لها مهرجانات حول ما تنتجه مثل إسبانيا ومهرجان الطماطم، وجنوب أفريقيا ورحلات السفاري التي يتناول فيها المقتنصون وجبة من لحم التماسيح.

أما عبدالعزيز.. مليء بالأفكار الغريبة، ومهتم بالتجميل وبالأعشاب. سرد لنا أكثر من فكرة، فيها ما هو غير صالح للنشر. عن إحدى أفكاره يقول: لماذا لا نقوم بصناعة قوالب للوجوه من السيليكون، وكل يحفظ قالب وجهه للطوارئ، فلو، لا قدر الله، تعرَّض لحريق أو تشوه بفعل ماء نار أو من حرب أو مشادة سيسهل بالتأكيد أن نعيد الملامح.

لقد كانت فكرة عبدالعزيز تشاؤمية، ولكن لمَ لا، مثلما هناك بنك للخلايا الجذعية، فلماذا لا تكون هناك قوالب للوجوه؟! المشكلة ليست في القالب، المشكلة في كيفية بناء ما يملأ القالب.

ياسمين.. تقول: تأثرت كثيراً بفيلم تيتانيك عندما غرقت السفينة، لذا فكرت في سفينة من أجزاء، كل جزء فيها يستطيع أن ينقذ نفسه من الغرق، وتكون من اللدائن وليس من الحديد. بحيث يسهل أن تطوف وتتحول إلى قوارب نجاة.



لقد كانت الفكرة رائعة، لكن حتى من كانوا في قوارب النجاة لم يسلموا من الموت في عرض المحيط القاسي. ولكن ربما مع التقنية تكون هذه القوارب آمنة أكثر من القوارب العادية.

كثيرون من الذين استنطقناهم حلموا بالسيارة التي تطير، والأكل خالي السعرات تماماً، والجسم الرياضي من دون أدنى مجهود! والوجوه الجميلة في غضون ساعات، والسفر إلى كواكب أخرى للسياحة. وتمنينا لو جمعناهم معاً في جلسة عصف ذهني لأحدث الابتكارات، حتماً، ستتفتق أذهانهم عن أشياء مذهلة.

لماذا نقتل السؤال عند أطفالنا؟

يقول علماء النفس في تحليل سيكولوجية تفكير الجمهور: لماذا لا يصفق معظم الناس إلا بعد أن يبدأ أحدهم بالتصفيق ثم يتبعه تلقائياً الجميع ؟ ذلك أن طبيعة الإنسان أن ينتظر من يسبقه ويطمئنه أن الفعل آمن فيتشجع ، فقليلٌ من يتحمل عبء المبادرة الأولى وكثيرٌ من يتبع بعد ذلك. هذا هو ما يحصل حين لا يجد الطفل في بيئة المنزل أو المدرسة من يشجعه على السؤال، بل ويعرف الطفل اللحوح ببطء الفهم وعرقلة سير الحصة الدراسية. وإن وجد الطفل من يتقبل أفكاره بتشعبها واتساعها، فإن المناهج التعليمية آثرت طريقة التلقين والحفظ على التفكير الإبداعي. تشير دراسات قام بحصرها الدكتور طارق السويدان إلى أن متوسط نسبة الإبداع في عمر خمس سنوات تصل إلى 90% بينما تنخفض إلى 10% في عمر سبع سنوات، أي حينما يلتحق الطفل بالمدرسة ويلتزم بقواعد صارمة للكلام والحركة.

إن إتاحة الفرصة للطفل أن ينطلق بتفكيره كفيلة لجديرة بإطلاق ملكاته الإبداعية في الكبر التي تعود بفائدة على المجتمع. في دراسة قام بها العالمان جيلفورد وتورانس في أواسط التسعينيات تستنتج أن العامل الأول لتقدم مستوى الدول هو رفع الأداء الإبداعي للفرد، وأن الفرصة لتحقيق ذلك تعتمد كلية على سنوات التنشئة الأولى.

دور الآباء في تعزيز الثقة

إن للآباء والمعلمين القدرة على منح الثقة الكافية لأطفالهم ليكونوا من العظماء والقادة، ولنا في التاريخ مثل وعبر. رفع عبدالمطلب جد رسول الله من قدر حفيده وكان له دور في صقل شخصيته العظيمة حين نظر إلى زعماء قريش قائلاً: «إن ابني هذا سيكون له شأن». على

إن العامل الأول لتقدم مستوى الدول هو رفع الأداء الإبداعي للفرد، وإن الفرصة لتحقيق ذلك تعتمد كلية على سنوات التنشئة الأولى

هذا النهج سار الحبيب المصطفى؛ فحفيده الحسن سمعه يقول عنه « إن ابني هذا سيد، وإن الله يصلح به فئتين عظيمتين». وظهر أثر هذه الكلمات في دور الحسن في فتنة الخلافة بين علي رضي الله عنه ومعاوية. ومن همسته بأذن طفل «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» ظهر ابن عباس حبر الأمة وفقيه زمانه. إن إيمان معلمة أمريكية تدعى آن سوليفان بطفلة عمياء أهدى للعالم الكاتبة والناشطة الأمريكية هيلين كيلير.



مضادات لتقوية المناعة

لا تغيب مؤلفات الكاتب البرازيلي الشهير باولو كويللو عن رفوف المكتبات. خلف هذا الصيت تقف نفس صلبة الإرادة. استطاع كويللو أن يتجاهل محاولات والديه المتكررة لإيقافه عن ولعه في الكتابة إلى حد أنهم اعتقدوا أنه مصاب بالجنون فأدخلوه المصحة النفسية ثلاث مرات! لم ير باولو أيّاً من العوائق سبباً لتخليه عن حلمه، فقد كان يراه نجاحه رأي العين.

تتوالى الكتب والمقولات والحكم لتقوي مناعة المبدع والمخترع تجاه سيل النقد والإحباط الذي يواجهه سواء من عائلته، أو من أصدقائه أو من مجتمعه بلده أو حتى من داخل نفسه. إن كل من حققوا إنجازاً يمتازون ببعض الصفات المشتركة مثل: الجرأة، وسعة الخيال، وطول النفس، والإيمان التام بأن كل من يقف ضد فكرته فسيسانده حين يراها على أرض الواقع.

من هذا الإيمان عرف العالم الفنان الإيطالي ليوناردو دافنشي الذي كان يقول لأصدقائه: «سأكبر لأصبح أشهر فنان في إيطاليا وسأخالط طبقة الأمراء والنبلاء بأعمالي».

صورة شخصية

محمد الشريف..
قهر العجز بروح الدعابة





في قصة الشاب محمد الشريف الذي التقته رحاب أبو زيد على هامش معرض صيف أرامكو السعودية العديد من المحاور المضيئة التي يمكن أن يجد فيها أحدنا حوافز مبهجة نحو حياة تنفض اليأس وترفض المستحيل، وبإعداد نفس سوية قوية تتقبل الواقع وتتكيفً معه وتنتصر على قسوته.

لا يعي الإنسان حقيقة اختياراته إلا بعد مضي أعوام طويلة من العمر، وربما بعد أن يخسر الكثير من الجهد والوقت في استيعاب مقتضيات عجلة القدر والطريق الذي تفرضه عليه. فحين اختار الشاب محمد عبدالله الشريف الالتحاق بكلية الدفاع الجوي بجدة تلبية لرغبة والديه التي تعارضت وميله إلى الطب، لم يكن يدرك أنه سيتحول من ضابط مولع بحب وطنه والدفاع عنه إلى «ضابط» الألم والبسمة على وجوه الآخرين من ذوي الاحتياجات الخاصة. رفض في بداية حديثنا هذه التسمية مسوّغاً ذلك بأن ذوي الاحتياجات الخاصة هم المصابون بأمراض عقلية أو ذهانية، بينما أطلق على نفسه لقب «معاق» بكل شجاعة في مواجهة تسمية قاسية كهذه.

حادث غيّر مجرى حياته

تربى محمد في كنف جده بمدينة أبها في جنوب السعودية كحفيده الأكبر المقرّب، اكتسب منه الحكمة والصبر اللذين تسلح بهما لاحقاً في سني اليفاعة والشباب ولحظات الوجع والعجز، مؤكداً بذلك أن لا درس في الحياة يمكن تجاهله مطلقاً، وأن لا وجود للعبثية في الوجود. لم يكن شاباً سهل الانكسار ليّن العود، بل كان طموحاً حالماً بيقين. تسلح بالعلم والإيمان لينطلق من الكلية إلى عالم الوظيفة العسكرية كملازم أول في الدفاع الجوي. ثم بدأ في البحث عن الزوجة الصالحة ورفيقة العمر التي اختارتها والدته بعناية الأم وبقلب المحب الذي يهوى سعادة حبيبه.

يقول محمد: «جمعت كل خيوط الأحلام في رزمة واحدة، فامتلكت السيارة التي كنت أتمناها، واتفقت على موعد القران مع زوجة المستقبل التي علّقت هي الأخرى آمالها على كتف رجلها المنتظر».

لم يمهل القدر محمد حتى يؤسس لعش الزوجية كما يحب، حيث خرج وعدد من الرفاق في رحلة إلى مكة لأداء عمرة يشكر الله ويحمده فيها على فضله وكرمه بتحقيق الأمنيات والآمال. وكما تقع الحوادث العظام، وكصيّب من السماء في لحظة برق خاطفة، باغتتهم سيارة كبيرة من الجانب الذي كان يقل محمد ووقع الحدث الأكبر في حياته الذي غيّر مجراها بالكامل. أفاق بعد قرابة ستة أيام من غيبوبة في مستشفى النور بمكة ليجد والديه وأعمامه وأقاربه يبكون والدمع يبلل

ستائر الغرفة، والحزن يخيّم على المكان للمصاب الجلل الذي أصاب ولدهم البار الذي علّقوا عليه آمال العائلة بشرف وفخر. تساءلت عيونه عن سبب الدموع وهو لا يكاد يشعر بأي حس أو قدرة على تحريك نصفه السفلي! فلقد أصيب بكسر شديد في العمود الفقري أدّى إلى إصابته بالشلل، إضافة إلى كسور بالوجه والساقين، وعليه أقعد محمد عن المشي والحركة والطيران والدفاع الجوي، وربما الزواج والإنجاب، وكل متطلبات الحيوية والانطلاق إلى الأهداف التي كانت نصب عينيه. يصف محمد تلك اللحظة بالكابوس الشنيع، حيث رفض الوعي واللاوعي لديه على تقبل الواقع الجديد، والمخاوف تؤكد له أن الموت كان أرحم لو اقتلعه إلى خارج حياة منتقصة.

يقول محمد: «لم تجد كل تطمينات المحيطين بي نفعاً في تعديل حالتي النفسية أو رفع معنوياتي المتدنية. علّقت أملي بالله العظيم الرحيم، ثم بمراجعة طبيب ألماني يدعى «د.كيفت» في ألمانيا لعل بصيصاً من نور يلوح في الأفق يعيدني لخط سيري الذي كنت أمضي عليه ملوّحاً براية النجاحات والإنجازات». وصف الحالة النفسية التي اعترت محمد حينذاك أمر يتجاوز البلاغة بمراحل، إذ لم تكن تسكنه سوى التساؤلات حول من سيقود سيارته الجديدة، وهل ستقبل به شريكة حياته العيش معه على هذه الهيئة، وعمّا إذا كان سيمارس وظيفته التي اختارها بالشكل المنوط به! يقول: «كل معالم حالتي الصحية والشواهد تقول إن حياتي كانت مجرد سراب واختفى». بدأت مراحل العلاج من نقطة محددة صارحه بها الطبيب وهي تقبُّل فكرة الإعاقة المستديمة والتعايش معها.

الأمل يعود من جديد

عاد محمد إلى بلاده محمّلاً باليأس جسداً بلا روح، وأبواب مسدودة وشموع منطفئة. تسكنه مشاعر متضاربة حول ما أسس له وبناه تعارضاً مع إلحاح إجباري من والديه بضرورة مواصلة البرنامج التأهيلي في مدينة سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية بالرياض. قابل هناك عدداً من المصابين المنسجمين مع أوضاعهم الصحية الجديدة، بل وتمكنوا من ممارسة حياتهم بعد الإصابة بصورة طبيعية، ولكل منهم سيارته الخاصة المزوّدة بإمكانيات جديدة تمكنه من قيادتها وتطويعها وفق قدراته المحدودة. علاوة على ذلك، فإن معظم المصابين بمثل حالة محمد لم تمنعهم إصابتهم من الزواج وإنجاب الذرية التي يحلمون بها، كما أنهم يتقلدون وظائف مهمة ومرموقة، ولم يجنحوا إلى العزلة عن مجتمعهم أو الانطواء خجلاً على ذواتهم مبعدين أنفسهم عن المشاركة الفعّالة في البناء والتطوير. هنا بدأت الدماء تجري في عروق محمد شيئاً فشيئاً، وشرع التفاؤل يدفعه لقبول إجراء التمارين التأهيلية والتدريبات العلاجية على التكيّف مع الإصابة، بواسطة الخضوع لجلسات مكثّفة من العلاج الطبيعي والعلاج الوظيفي. يعبّر محمد عن تلك البدايات بقوله: «وأشرقت الشمس من جديد عندما شعرت ببزوغ حركة طفيفة في فخذي اليمين وكأن القلب قد قرر العودة لضخ الدم فيها، أدركت حينها أن قدرة الله عز وجل فوق كل مستحيل، وفوق توقعات «د.كيفت»! سارعت بالاتصال بأخي في جدة طالباً منه إرسال سيارتي التي بقيت دون حراك في فناء منزل عائلتي لمدة عام ونصف حتى أتمكن من تجهيزها بالأدوات اللازمة لأعود للقيادة».

تمكن محمد من الانتصار على اليأس، بأن كثّف التدريبات على استعمال الكرسي المتحرك رافضاً الكرسي الكهربائي الذي يصيب الجسم بالاعتمادية الكاملة على الآلية والتحكم التقني بالقدرات، بينما يتيح الكرسي المتحرك على الرغم من صعوبته من تقوية عضلات اليدين والاعتماد عليهما لبلوغ غرض ما في مستوى مرتفع عن مستوى الجسم عند التسوق أو عند الوقوف أمام جهاز صرّاف آلي. حين لاحظ المسؤولون في مدينة سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية المهارات العالية التي اكتسبها محمد، خصوصًا عندما راح يشجع غيره ويبث روح التفاؤل في نفوس المرضى الجدد، عرضوا عليه وظيفة مدرب مهارات فنية ومنسق العلاج الترفيهي بالمدينة، مما بعث بالسعادة في روح محمد وعوّضه عن وظيفته السابقة، وخلق أجواءً مغايرة للحلم بالوصول إلى بناء الأسرة والارتباط بخطيبته المنتظرة. وكانت هذه هي معركته الأخيرة مع أهل خطيبته الذين تخوّفوا على مستقبل ابنتهم وراحوا يضغطون عليها لفك الارتباط برجل معاق. لكنها تحلّت بإنسانية عالية وحب كبير لم يقنعها بالتخلي عن محمد، وأصرّت على الزواج بمن اختاره الله عز وجل زوجاً لها. يعيش محمد اليوم حياة كريمة مع زوجته وابنه راكان، وعاد لبناء لبنات المستقبل واحدة بعد أخرى وهو يحاول البحث عن رابط بين الشخصيتين اللتين عاش في ثوبهما منذ وقوع الحادث عام 2005م حتى 2011م عام التمرد الإيجابي على الضعف والاستسلام، فما وجد وجه شبه واحداً بين محمد قبل الحادث ومحمد بعد الحادث سوى الاسم فقط!

جدير بالذكر أن محمد يهوى التمثيل، وخصوصاً عندما اضطلع بدور توعوي يحسن صورة المعاق ويفعّل أهميته في المجتمع من خلال المشاركة في مسرحية «مثلي مثلك» الشهيرة.

SSPC

صفية بن زقر

المرأة في التشكيل..
قراءة داخل حدود اللوحة!



بينما يتردد في أوساط النقاد التشكيليين خوفهم من موت اللوحة المسندية أو ما يقال عنها «الفن الصالوني» أمام تشكيلات الفنانين التجريبيين، وتراجع هذا الفن الصالوني في البينالات العالمية إلاّ أن حسين نشوان يؤطر اللوحة بقراءة في نتاج لعدد من الفنانات العربيات.

في الوقت الذي يرجع الحداثيون نشأة اللوحة إلى ظهور اللوحة المسندية.. التي تُعرف باللوحة الزيتية أو الفن الصالوني، فإن الدلائل تشير إلى خلاف ذلك. فاللوحة قد دخلت البلاد العربية خلال النشاط الاستشراقي وما تلاه في الحقبة الاستعمارية مما أربك المصطلح، كما أربك التشكيل الاجتماعي وأجهزة المفاهيم والذاكرة، وتحديداً في تأريخ الفن والثقافة. ذلك أن الفن يمثل سلسلة من التحولات الشكلية والأسلوبية والتقنية التي تتصل بشرط بروزها، وتعبر عن حاجة التعبير الفنية بمكتسبات المعرفة والمشاهدة.

وقد سجل تاريخ الفن تطوراً مهماً على المنجز بما تمثل في فن الجدران والكهوف، والنحت والخزف والحفر والتزيين والرسم والتشجير والنقش الذي لا يزال ماثلاً في الحضارات القديمة، ومنها: البابلية، والسومرية، والفرعونية، والعربية النبطية، وفن الكهوف في أمريكا اللاتينية، والحفر الأفريقي، والرسم الصيني.

وبات من الواضح أن تيار الحداثة الذي اقترح إطار اللوحة ومربعها قد ثار على الشكل في مرحلة ما بعد الحداثة لمصلحة التعبير الحر. وبالقياس على التاريخ فإن اللوحة المسندية تمثل مرحلة من المراحل التقنية الشكلية التي تمثلها الفن التشكيلي في مختلف صنوفه النحتية والخزفية والطباعية، وأن المرحلة التعبيرية «البدائية»، أو «فن الحضارات القديمة» استمر لقرون تزيد كثيراً عن الحقبة التي عاشتها اللوحة المسندية التي لا تزال تعيش بوتقة الاختبار.

إن قراءة تاريخ الفن، والرسم كمنتج حضاري، يمكن أن يدلنا على الكيفية التي تم فيها التحول الوظيفي للفن بالانتقال من المناخ الأنثوي إلى المجال الذكوري.

وهي قراءة تسعى إلى رصد التحولات والشروط التي أنتجت اللوحة المسندية في الغرب النهضوي وتوصيفها. وهي، أيضاً، محاولة لفهم المناخ العام الذي أنتج غالبية الفنون الغربية بانقلاب المتخيل من التكيف مع البيئة إلى تطويعها مع التطور.

يقول إدوارد سعيد إن فكرة الاستعمار قامت على متخيل بشَّر به البرتي في بناء سردية لرحلة اكتشاف واستكشاف العالم، تزامنت مع تطور فكر القوميات. القاسم المشترك بين أوجه الاستشراق، الذي لا يمثل واقعة من وقائع الطبيعة بقدر ما يمثل واقعة من نتاج البشر، كنت قد أسميتها بـ«الجغرافيا التخيلية».. وهذه الجغرافيا التخيلية، والديموغرافيا التخيلية، وضعت الشرق، أو «الآخر» كعدو للغرب.

وبإزاء الفهم النمطي غدا الشرق مساحة للمغامرة التي يقوم بها البطل/ الذكر، الذي يحمل مشروع الفتح للأرض/ كمضارعة للمرأة، ليقترح المتخيل التوسعي دوراً محدداً للفنان يقوم على وظيفة الشاهد.. المدون.. الفوتغرافي لسير الأبطال ووقائع البطولة والأحداث الجسام والقادة العظام الذين يحققون النصر والثروة والمجد. وعلى الفنان خلال ذلك اقتطاع اللحظة مفصولة عن البيئة، ووضعها في إطار، وحملها إلى المركز لتزين جدران القصور، كما في لوحة نابليون.

النسق الفكري ومتخيله الاستكشافي

لم تكن بداية الاتصال الاستشراقي التي مثلها دافيد روبرتس تختلف كثيراً عن ذلك النسق الفكري ومتخيله الاستكشافي الذي صور لقطات من الأراضي المقدسة وبلاد الشام ومصر، ووضعها في إطار لنقلها إلى جدران الكنائس في المركز. وكان خلال ذلك يتتبع الجغرافيا التوراتية التي سلكتها فيما بعد عساكر الجيوش الاستعمارية.

كما لم تخرج أطروحات منظري الاستعمار في اغتصاب الأرض عن التمييز بين ذكورية المحتل/ المستعمِر «بالكسر»، وأنوثة المستعمَر «بالفتح»، بما ينسحب ذلك على تغيير جهاز المفاهيم لوسائل التعبير الفني الذي صدر عن متخيل «نمطي».

وبدا من الواضح أن اللوحة المسندية التي دخلت من خلال نافذتي الاستشراق والاستعمار قد أدت إلى قطع مع المفهوم السابق لمعنى الفن ووظائفه وتاريخه، وكان للاتصال القسري متمثلاً في الاستعمار، والاستشراق دور في إدخال اللوحة المسندية كتعبير حداثي يتماهى مع قيم الغالب الجمالية والتقنية، وجاءت تعبيرات الفنانين العرب الأوائل مقلدة تماماً لموضوعات الاستشراق برسم المرأة البدوية بكيفية سياحية، والتعامل مع المرأة بوهم متخيل الإلهام. وفي كل الحالات كانت المرأة موضوع اللوحة ومادتها، غير أن التحولات التي جرت في خمسينيات القرن الماضي وستينياته، أدت إلى وعي مضاد للهيمنة والاستعمار ببروز قضايا التحرر والنهضة، والارتطام مع أسئلة النهضة والهوية، ومن بينها الهوية الحضارية ومكوناتها الثقافية والفنية، وكانت صورة المرأة هي الأكثر حضوراً ضمن متغيرات الصراع والاشتباك في كل أشكاله.

ونتذكر هنا المرأة العربية التي كانت الرائدة في اجتراح الحكايات التي دونتها «شهرزاد» وسيلة للانعتاق والحرية والدفاع عن الحياة وسلطة «شهريار» في حكايات «ألف ليلة وليلة».

SSPC



بلقيس فخرو

كما كانت الرائدة في كونها الفنانة الأولى التي يقع على عاتقها حراسة التراث باستعارة مفرداته على الأواني والقماش والجدران، منطلقة في ذلك من وظيفة طقوسية تضفي على آنية المنزل تمائم ورموزاً لرد الشر والحسد والأرواح الشريرة.

لم تخرج المرأة وقتذاك من إطار اللوحة كموضوع، كما لم تخرج من ظلال اللوحة كملهمة، وبعد انخراطها في المشهد التشكيلي استعادت وعيها وذاكرتها لتدوين ألوانها وخطوطها على اللوحة المسندية كنافذة أو باب أو جدار شفاف، منسلة من داخل المربع وحبسه بالوقوف أمامه لمناجاته متشبعة بصدق حكاياتها وذاكرتها البصرية وهمومها وهواجسها وأمنياتها. وكما انطلقت جدتها «الفنانة الأولى» من توظيف الأشكال والرموز لغايات حماية وجودها، فإن الفنانة المعاصرة لجأت إلى اللوحة كمنصة لرؤية العالم، واستطاعت المرأة أن تستعيد مكانة الحكاءة.. الفنانة ببناء نصها البصري المقاوم للإقصاء والقهر.

وفي اختباراتها الأسلوبية والتقنية لجأت إلى احتيالات الفن ورمزياته للإفادة من مخزونها المعرفي والثقافي بوسائل مختلفة، تمزج بين متطلبات الفن، وتعدد القراءات التي تخلق تيار الوعي لفهم العالم ضمن حدي الثنائيات التي تشبه وجهي الحياة والوجود.

الفنانة الأولى.. حراسة التراث

بدا أن المرأة الفنانة العربية ظلت مخلصة لدورها الذي ورثته من سلفها الفنانة الأولى بحراسة التراث، والتماهي مع المكان واللغة، مستفيدة من البيئة والرموز الأسطورية لبناء لوحتها أوصوتها.

وسعت الفنانة العربية إلى أنسنة الكائنات وإضفاء روحها على الأشياء بأسلوب واقعي وأحياناً تجريدي غنائي، وهو ما يلاحظ في أعمال السورية شلبية إبراهيم التي صورت حكايات الريف التي «تختلط في لوحاتها بين مساحة الحلم بالواقع.. وخشخشة خلاخيل الأحصنة الراقصة، وعذرية الغواني المتوحّدات مع الزهور والطيور، لا يتعثّر منهجها بأي تردد أو تعديل، تنجز اللوحة كما تتنفّس في شهيق وزفير لا يقبل العودة»..

المرأة.. المرآة

المرآة التي تشبه اللوحة البيضاء تتيح المشاهدة المباشرة، والحوار، ورؤية الذات بالاقتراب والابتعاد، والتعري الذي يكشف الذات بلا مزينات، أو زخرفات.. ويلعب قناع المرآة دور الحلم، والكشف عن خصائص المرايا وأنواعها وانعكاساتها على الذات والآخرين، كما تكشف الداخل بإيحاء الخارج، وتتيح للعمل جماليات التكثيف والاختزال والإقلاب حسب خصائص المرايا، وأحياناً جماليات القبح والتشوه كمختبر كاشف للواقع، وسابر للأعماق النفس.

وهو المناخ نفسه الذي تستمد منه الفنانة اللبنانية جوليانا ساروفيم موضوعاتها، حيث تهب العمل البعد السحري المفتوح على آفاق شرق، كالذي يتصوره القارئ لـ«ألف ليلة وليلة» كما يقول الناقد اللبناني نزيه خاطر، وتتخيل في أعمالها المرأة اللبنانية عندما تتماهى في إنشائها البنائي لجسد امرأتها الزهرة».
وهو ما قامت به اللبنانية آمال داغر، والسورية عتاب حريب في التنويع بين الطبيعة المرأة، كما تجلى في استعارة الرخام من لدن الفنانة الأردنية منى السعودي للتعبير عن رمزية الأمومة بتوقيعاتها على حرف النون والأهلة المستعارة من التراث.

وجاء العمل الفني بالنسبة للتشكيلية والنحاتة الفلسطينية سامية الزرو ليس مجرد مغامرة شكلانية تتصل بالتقنية والأسلوب، أو البحث عن موضوعات


SSPC
عتاب حريب

توفر الدهشة السياحية العابرة، وإنما محاولة للبحث عن إجابات لقلق يكتنف الواقع، الذي يؤكد حضورها كفنانة شعبية بالمعنى الثقافي للمفردة التي يرتبط فيها الفن بهموم الإنسان وقضاياه، ومعاناته. فضلاً عن إخلاصها ووعيها للحس الكفاحي اليومي في مواجهة القهر ومحاولات المحو والإقصاء التي يعانيها أبناء الشعب الفلسطيني، وتسيطر على ذاكرتها وتلقي بظلالها على ما حولها.

أما الفنانة د.وجدان علي فهي تستعيد اللوحة بذاكرتها الثقافية وتاريخها الحضاري كوسيلة للمعرفة التي تتحول فيها الكائنات إلى رموز حروفية تشي بالهوية الحضارية، وتشير إلى اللغة الأم، كما تقول: «إننا لا نبدأ في تقدير أهمية الفن في تاريخ البشرية، إلا عندما نرى الفن بكل وضوح، بوصفه طريقاً للمعرفة، مساوياً للطرق التي يتوصل بها الإنسان لفهم ما يحيط به».

وفي أعمالها الأخيرة ذهبت الفنانة العراقية الراحلة ليلى العطار إلى الفضاء التجريدي للتماثل الذي تحققه تعرجات المكان ومنحنياته، واستعارت الفنانة الأردنية سهى شومان وابنة موطنها نوال العبدالله بالمقاربة بين الجسد والتشكيلات الصحراوية والتضاريس التي تركها الزمان والمناخ على صخور مدينة الأنباط.

وأظهرت الفنانة السعودية صفية بن زقر عناية كبيرة بحارات جدة القديمة وعمارتها التي استظلت بها ذاكرة الطفولة، مستعيدة ملامح الوجوه التي تلاحقها بطيف من حنين الماضي، وتصور الملامح الإنسانية لعلاقة الناس حيث الجارية تمسك بالمرآة لامرأة وهي تمشط شعرها بدلال في ثوب حجازي قديم، وأخرى تجلس على الكرسي مشرعة أمام زوجها الذي ستزف إليه بعد ليال. وفي لوحة لها بعنوان «سوق الحريم»، ترى تلك المرأة بعباءتها وهي جالسة على بسطتها تبيع وتجادل في تجارتها. أما الصبيان والبنات فهم بين الأزقة يمارسون ألعابهم القديمة التي يحملون فيها حميمية العلاقة التي تناستها الحارة في ظل الحياة الحديثة وأنماطها الاستهلاكية، وكثير من تلك التفاصيل التي دونتها صفية ونقلت التراث الحجازي للأجيال.

ومثلت الفنانة السعودية شادية عالم حالة الانعتاق من أصفاد المكان إلى مساحة المطلق، كما يقول الناقد عرابي، «ساعية للخروج من قمقم الغربة المختومة بتحرّق وجداني لا تحدّه حدود».


SSPC
صفية بن زقر

بينما أفادت الفنانة البحرينية بلقيس فخرو من تراث المدينة القديمة وحضارة دلمون للإقامة في مدينتها الفاضلة والمتخيلة. ومثلها وسما الآغا التي استعادت حكايات «ألف ليلة وليلة»، في المدينة العباسية للتعبير عن الحنين للماضي الفردوسي، وانعتاق المرأة. وهي الاقتراحات الجمالية والمعالجات الفنية التي قدمتها الفنانة هلا بنت خالد باستعادة فن الأغلفة التي أسس لها الفنان العباسي الواسطي كأحد الفنون المهمة في التاريخ العربي، وأعمال الفنانة بنت خالد التي تستعيد عوالم الطفولة بتعبيرية خيالية تجعل منها عناصر أسطورية.

الفنانة المغربية فاطمة حسن حاولت أن تتفهم الأشياء المحيطة بها، فعادت إلى التراث الذي أسس له الواسطي، ومناخات «ألف ليلة وليلة»، حرصاً منها على الابتعاد عن الانبهار بالمدارس الغربية. ذهبت إلى فن التزويق، والزخارف الشعبية والرموز، واستعادت محاولتها في إيجاد صيغة متميزة لمنجزاتها الفنية.

ولأن المرأة في لوحات فاطمة حسن قبل أن تكون جسداً مليئاً بالإغراءات، كانت فكرة، فقد سمحت لنفسها بإعادة تركيب الذات، عبر سردياتها العجائبية لتلك المكونات الإبداعية لعالمها السحري، وشخوصها الأسطورية، وحيواناتها الغريبة، التي تنقل مشاهديها خارج الزمن، من داخل أزمنتها المشرعة على الطفولة بكل مفرداتها وتراكيبها الفنية.

واستعادت الفنانة الكويتية ثريا البقصمي العلاقة بين اللغة والزخرفة عبر اهتمامها السردي كوسيلة توليدية لا نهائية للكون، لتمنح مثل هذه التوالدات إحساساً بالانعتاق الذي توفره الحركة. وفي اختيارها للأشكال والخطوط كانت الفنانة تستعيد تاريخ الفنانة الأولى، وتتيح للمتخيل الرحيل في الخيالات الأسطورية التي تضيف على كل ما هو موضوعي ما له علاقة بالحضارات والتاريخ وقصص الألوان الزاهية المتجددة بالأشكال الخاصة.

المرأة.. النافذة

قناع النافذة في اللوحة، هو بعد تقني ينفتح على الإطار لإسقاط الضوء وإدخال الهواء والاتصال بالعالم.. قناع يتمثل فكرة الحرية. ومن هنا تبرز الحاجة إلى التعبير وفق أسلوب المدرسة التجريدية عند الفنانة المرأة لنقل مشاعرها وأفكارها الغامضة أحياناً، وتثريها بعدد من الترميزات لتشكل مفتاحاً ومداخل للوحة.

العالم السحري لفنون المرأة

منذ انطلاقتها غاصت الفنانة الإماراتية نجاة حسن مكي في «شفرات» الفنون الشعبية المرتبطة بالأجواء النسائية، وتحديداً ذلك العالم السحري لفنون الزخارف والرقش والمنمنمات التي تستبطن خفايا

SSPC



نجاة مكي



وجدان علي


SSPC

ثريا البقصمي

المرأة وجمالياتها. كانت المرأة بهذه المعالجة ليست مستودعاً لعوالم شكلانية جميلة بهيجة، بل هي، أيضاً، مستودع أسرار روحانية تضفي على اللمسة العابرة معاني وأبعاداً شاملة، وتصبح الزخارف هنا شكلاً من أشكال التداعي الحر، لأعمال تتّسم بقدر واضح من التصوير المنطلق صوب البحث عن أسلوبية تعيد إنتاج الخصوصية، ضمن توليفة للأنا المبدعة.

وتبدو لوحات الفنانة الجزائرية بايه محيي الدين حسب الناقد عرابي «سجلاً حافلاً بالذاكرة السحرية للثقافة المحلية تستخرج كائناتها العضوية من عالم الفردوس والجنان: الطاووس والطيور والأسماك والفراشات وباقات الزهور والثمار العجائبيّة والروايات والحكايات المثيرة، لتستعيد مكانة الحكاءة الأولى من خلال الخط والرموز والألوان والإشارات».

الفنانة التونسية مريم بورد لا تلقي بالأشكال والكائنات المجهرية الأولى التي تعيش صيرورة التطوّر فتبدو إشارتها التعبيرية، وكأنها مسوخ حيّة أو وحيدات خلية، تدعوها مرة بالأشباح وأخرى بالملائكة، لتبدو تقنيتها نخبوية وشعبية في آن، حسب الناقد عرابي.

لعله من العبث بمكان، على ما يقول عرابي، البحث عن خصائص الأنوثة في اللوحة، ولكن هذا لا يمنع وجود «وحدة التيّار التعبيري» بشتّى فروعه: التقليدية، المحدثة، المتوسطة بين الحدّين، ثم الأشواق الروحية، وانعراجاً إلى التعبيرية البكر.

شادية عالم

أنسل أدمز..
التصوير منحاز للطبيعة




SSPC

إن بعض تجارب الضوء المتسلل إلى مفردات الصورة الفوتوغرافية تبدو آهلة بالجمال الذي يزخر بالمعاني، خصوصاً عندما تظهر هذه الصور الصادمة بضوئها في غرف معتمة. وتبدو تجربة المصور الأمريكي آنسل آدمز في إيجاد صورة خالصة غنية بالأحاسيس ملهمة بمستويات ضوئها الساقط. أثير السادة ينحاز إلى آدمز الذي انحاز بدوره إلى الطبيعة.

كان الأبيض والأسود فرشاتهم الوحيدة في عالم الرسم بالضوء، إنه خيار البدايات الذي أخضع إلى كثير من الاختبارات الجمالية، في هذا المزيج المستحيل تجلت أبهى انعكاسات الظل والضوء في لوح الصورة، فبات الواقع أكثر صرامة وأكثر تجرداً من زخرف اللون الذي يغتال عمق الأشياء، أو على أقل تقدير يزيح النظر بعيداً عن الجوهر الغائر في مفردات الصورة.

لم تكن ألواناً محايدة، بل بدت بمنزلة الإعلان المسبق عن الانحياز لروح الأشياء، على النحو الذي كانت عليه تجربة آنسل آدمز (1902-1984م) في المرحلة الأهم من حياته الضوئية التي تفتحت على آفاق النزعة البكتروليزم بدايةً، قبل اتصالها بعالم إدوارد وتسن وألفريد ستابلرز وتمثله لمعطيات الحداثة التي شددت على إيجاد صورة خالصة. جاءت صوره ملونة بالأحاسيس، بذلك الاصطفاء الدقيق لمستويات الضوء الساقط على مفردات الصورة، جعلت من مهمة استظهار الصورة فعلاً جمالياً هو الآخر، فعلاً متمماً لمعنى الصورة وقيمتها الفنية، حتى كانت تحولات الصورة المونوكرومية مرتبطة بتلك الحساسية الجديدة في إنتاج الصورة في الغرف المظلمة، والتي اجتهدت لاكتشاف تعرجات الضوء في اتساع الصورة، واستثمار كثافة الظلال لإدراك الشروط المعقدة للعلاقة بينهما، فالمكمن الجمالي للصورة هو في تلك التطريزات الدقيقة لمستوى الحضور والغياب بين الظل والضوء.

قراءة الضوء تبدأ من لحظة التصور الذهني للصورة، لحظة تماسها بأحاسيس المبدع، وهو ينتخب لحظة يغمض عليها عين الكاميرا، كان آنسل يتفانى كثيراً في تعميق مفردات الصورة، وكان مسكوناً بذلك الهاجس النغمي لتنويعات الضوء، حتى انتهى به المطاف إلى تطوير ما عرف بـ(Zones System) الذي عمد إلى ترسيم مساحات الضوء حسب كثافة انتشارها، ليكون بمنزلة الذروة في وعي سلوك الضوء ضمن بناء الصورة، وليصبح الدرس الأهم في سيرة التصوير الاحترافي.



المصور الأمريكي آنسل آدمز

بمثل هذه الحساسية كان يقارب هذا المزيج من اللونين الأبيض والأسود بكثير من الحماسة، ليمنح الصورة طاقتها التعبيرية، ومناخها ومزاجها الفني، فهي من ثمَّ جزء من تأملاته ورغباته وخبرته الجمالية، ومنظوره الشخصي الذي يمنح الصورة فرادتها في كل مرة يرسم الخطاطة الأولية في ذهنه للمشهد محل التصوير، أو ما اختار توصيفه لاحقاً بـ (visualization) ليستقر كواحد من أدواته الفنية، وكثيراً ما كان يحيل في حواراته على هذا الحضور الواعي للمصور في بناء الصورة، بنحو يعزز معنى صناعة الصورة الذي أريد به إزاحة التصورات الأولية التي حاولت اختزال فعل التصوير في مجرد الالتقاط، أي النقل الميكانيكي للحظة الفوتوغرافية.

إنها عملية واعية للتنبؤ بالشكل النهائي للصورة، كما يصف آنسل في إصدار (The Negative)، بما يملك المصور القدرة على رؤية الأشياء كصورة ناجزة قبل تنفيذها، والقدرة على النظر إلى الأشياء بما هي ملونة وإدراك قيم الأبيض والأسود الكامنة فيها، فهي تمرين للحواس، على حد تعبيره، للإحساس بإيقاع الأبيض والأسود وباقي تنويعات المساحة الرمادية حتى الوصول إلى الأسود المتين وتمييزه عن الرمادي الداكن.

كانت الطبيعة في أمريكا بتضاريسها البارزة موضوعاته الأثيرة، لذلك استحالت علاقته بوادي يوسمايت فالي في سييرا نيفادا إلى فسحة للاستكشاف البصري، تغلغل معها في صياغة لوحات فنية، ليكتب بها سيرة للأماكن الآسرة. لتلتقي تلك الغايات الجمالية بأخرى بيئية، حيث عُدَّ واحداً من المناضلين لأجل البيئة والداعين إلى احترامها ورعايتها، مؤسساً بذلك رباطاً متيناً بين الفن وقضايا البيئة، إذ كان يرى في الطبيعة رحماً للمعاني التي تحض الإنسانية على التراحم والتعاضد، وبذلك كان يعلل تشاغله الدائم بهذه الفكرة حتى في زمن الأزمات التي مر بها العالم من حوله.

تلك الجبال الشاهقة وهي تعانق خيوط الضوء في الصباح وهبته الإشارات الأولى لسلوك الطريق الطويل في معرفة أسرار الإضاءة الطبيعية، وعلاقتها بتضاريس الأشياء، سيطرت تلك المصابيح المضاءة في السماء ساعات النهار على تفكيره، مضى في اختبار حضور الظل والضوء المتنوع في الفضاءات الواسعة، حتى انتهى إلى أفكاره الوضاءة في هندسة الضوء.

وببلوغه ذروة الوعي بجماليات التصوير تحوَّلت الصورة إلى سجل للتجارب الشخصية أكثر من كونها توثيقاً للأماكن، على حد وصفه، بات يرى في التصوير اقتراباً من العالم الداخلي بقدر الاقتراب من ذلك المعطى الخارجي، لم يعد بالإمكان حصر مهمة التصوير باستنساخ الواقع البصري، بل هي علاقة حب بالدرجة الأولى بين المصور وموضوعاته، وهي بمنزلة الإدراك الأعمق للحظة الأهم في مشهد التصوير.

لذلك وجد المنتصرون لتجربته في تصوير الطبيعة أن ثمة فرادة في بناء الصورة عنده، فهي لا تحكي عن جيولوجيا، أو صخور، أو منحوتات أو حتى طقس، بل تغوص في تفاصيل كل ذلك لتهب المشاهد الإحساس بمستوى الرطوبة ودرجة الحرارة والساعة واليوم والشهر، فهي ما تجهد لبلوغه وتبيانه عبر حساسيته العالية بتمثلات الظل والضوء.

كانت تجربة آنسل كفيلة بإعادة اكتشاف جاذبيات المكان في سييرا نيفادا التي تكرر على زيارتها في مراحل نضجه المبكرة، حتى إذا ما غادر الحياة في 22 أبريل من عام 1984م حُفر اسمه على واحدة من تلك الأودية والجبال التي أحبها بعد أن منحته الولايات المتحدة ذلك تكريماً له، وهو الذي وصفه أحد أقرانه بأنه كان أمريكياً أكثر من أي أحد آخر لإسهاماته الفوتوغرافية ودفاعه عن الطبيعة في عالم كان يغرق في الأزمات.

جوليان بارنز..
الإحساس بالنهاية





«المتحذلق في المطبخ» هذا هو عنوان الزاوية الأسبوعية التي يكتبها الروائي جوليان بارنز في صحيفة الغارديان. وفيها يثرثر بفكاهة عن جو المطبخ دون أن يقدم وصفات لوجبات حقيقية. المتحذلق الأسبوعي أمام القراء.. قدم وجبة دسمة من اللغة والأفكار والأحاسيس في روايته الأخيرة. عبير الفوزان تقدم على هذه المائدة وجبة خفيفة، غير متحذلقة، عن جوليان الماهر في طبخ النهايات.

كيف لك أن تشعر بقرب النهاية؟ نهاية الحياة أو نهاية علاقة إنسانية انخرطتَ بها.. وكيف لك على ضوء هذا الشعور أن تضع حداً لنهاية انتظارك في ارتقاب النهايات. لقد كان انتظار بارنز لجائزة البوكر طويلاً جداً حد أنه قال عند استلامها: «لم أكن أريد أن أذهب لقبري قبل أن أحصل عليها». إن شغفه كان أكثر من أي شيء آخر بالرغم من أنه حصل على جوائز عدة وأوسمة كثيرة إلاّ أن البوكر كانت لها مكانة خاصة في نفس جوليان بارنز. وبالفعل حققت روايته القصيرة « الإحساس بالنهاية» حلمه وحدت من انتظاره، حيث جاءت كالرغيف الساخن لتتلقفها قائمة جائزة البوكر لعام 2011م وذلك بعد صدورها بشهر واحد.

الإحساس بالنهاية.. نهاية الانتظار

يتساءل كثير من النقاد حول إذ ما كانت رواية «الإحساس بالنهاية» أفضل أعمال بارنز، فهي تُعد الرواية الحادية عشرة من سلسلة رواياته، كما أنها الأخيرة. وبما أنه قد سبقتها روايات عديدة لها من القيمة الفنية ما يؤهلها للفوز مثل: ببغاء فلوبير وطاولة الليمون إلا أنها جميعاً أحبطتْ أماني كاتبها، ويعزو بعض النقاد السبب إلى أنه ربما كانت معايير الجائزة التي تخضع لرواج الإعمال الإبداعية بين القراء أكثر من قيمتها الإبداعية والفنية، ما جعل اسم بارنز يسقط على مدى أربع مرات من الفوز، في كل مرة تكون رواياته ضمن القائمة البوكرية!

أين سيقف العرب من بارنز؟

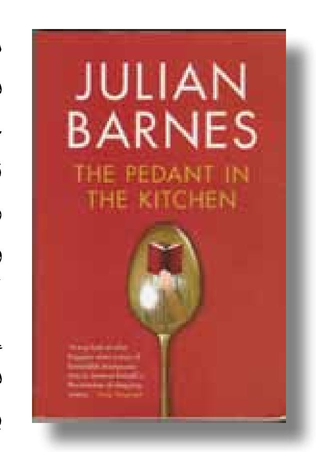
لماذا كتابات بارنز لم تثر دور النشر العربية لترجمتها بالرغم من قيمتها الإبداعية، والإرث الفلوبيري في بعضها؟ هل لأن هذا الإرث الكلاسيكي الحافل بالأفكار الفلسفية تناوله جوليان بأسلوب مخادع وبمهارة تحتاج لقارئ واع لا يضيع بين خيانات الترجمة؟ لذا كانت كتاباته التي تنتمي لما بعد الحداثة تقف عائقاً أمام الترجمة وبالتالي تداولها وانتشارها بين القراء العرب. وهل فوزه بالبوكر سيشحذ همم دور النشر والمترجمين لنقل مؤلفات هذا الروائي الذي يصرح بأن عدم معرفة الناس له لا تقلقه بتاتاً؟

في رواية (الإحساس بالنهاية)، التي تقع في 150 صفحة، يتتبع بارنز ذاكرة أحد الأشخاص العاديين، يدعى أدريان فين، مات منتحراً وهو بعمر 22 سنة، وكان يتميز بين أقرانه بالذكاء الحاد. يروي أحداث الرواية صديقه توني ويبستر، الذي يبلغ من العمر ستين عاماً، فلحق به الملل من حياته الحاضرة، حيث إنه لم يحقق مغامراته التي حلم بها في مطلع شبابه. لذا قام بمحاولة للتصالح مع ماضيه من خلال استرجاع لذاكرته من أيام الدراسة، عندما كان أدريان صديقاً له قبل أن تنقطع علاقتهما. يسترجع توني علاقته بأدريان وكيف كان الأخير أكثر ثقافة وذكاء ووعياً منه، إذ التحق بجامعة كامبردج، بينما توني التحق بجامعة لا صيت لها. يستعرض توني خيباته العاطفية من خلال قصته مع فيرونيكا التي انتهت علاقته بها لتنخرط مع أدريان في علاقة أخرى.

كان استرجاع توني للذاكرة بسيطاً وسطحياً إلى أن يستلم رسالة من مكتب محاماة يخبره بوصية هو المستفيد منها، والموصية هي فيرونيكا فورد الصديقة القديمة التي تركت له 500 باوند ودفتر مذكرات أدريان. لكنه عندما يحاول الحصول على هذه المذكرات تظهر فيرونيكا وتبدأ المقايضة.
إن هذه الرواية الصغيرة مليئة بالأفكار الفلسفية الكثيرة عن الحياة والموت، من خلال ما ساقته مذكرات أدريان فين لنا.

ببغاء فلوبير..المرة الأولى

يبدو أن الروائي الفرنسي جوستاف فلوبير1821-1880م يثير شهية الكتاب قبل القراء، إذ نجد أن الروائي البيروفي



غلاف كتاب المتحذلق في المطبخ

ماريو بارغاس يوسا الفائز بنوبل 2010م أهدى الجائزة لروح فلوبير، كما كان كتابه «المجون الأبدي.. فلوبير ومدام بوفاري» خير تجسيد لهذه الشهية والتأثر. مثلما نجد أن جوليان بارنز تأثر بفلوبير إذ ألف روايته الأولى «ببغاء فلوبير» 1984م، ولاقت رواجاً بين أوساط الأدباء والكتاب، وذلك لحبكتها الفنية العالية ورشحت لجائزة البوكر عام 1984م. إن ببغاء فلوبير تدور أحداثها حول طبيب أرمل متقاعد يدعى جيفري بريثويت يذهب إلى مدينة رودن الفرنسية، ليزور أماكن عديدة تتعلق بجوستاف فلوبير، ويقرأ جيفري في إحدى الصحف خبراً عن متحف يعلن عن عرض ببغاء محنط كان على مكتب الروائي جوستاف فلوبير في أثناء كتابته لقصة «قلب طاهر» وكما هو معروف أن هذا الببغاء يُعد من شخوص قصة قلب طاهر. وهناك يشاهد جيفري الببغاء المحنط ويتتبع آثاره، إلا أن هناك فصولاً كثيرة مستقلة عن حبكة الرواية مثل تأملات جيفري وغراميات فلوبير. فازت هذه الرواية بجائزة فوستر وسومرست موم، لكنها لم تستطع الحصول على البوكر وقتها.

يرى جوليان أن الكتب مثل الحيوانات بهيكلها الخارجي. تتكون من جسم ورأس وذيل وعلى المؤلف أن يؤلف ما بينها. ليخلق العمل الجميل المتناسق

تغيير الأسماء والتفاؤل

كان أول ظهور لبارنز بعد حصوله على الجائزة في لندن، في شهر ديسمبر 2011م، وذلك في جلسة نقاش أدبية مع الناقد هيرمن لي وسط حضور من المهتمين والصحفيين والنقاد، وكان ريع هذه المناسبة لمنظمات إنسانية خيرية.

في هذه الجلسة صرح جوليان بأنه في سرد رواياته لا يبدأ بالشخصيات وتوصيفها كما حال معظم الروائيين، إنما يبدأ بالخطأ الأخلاقي ثم يتساءل.. هذه الأشياء تحدث لمن؟ ومنها ينطلق إلى الشخصيات التي تحدث لها مثل هذه الأخطاء. ولعل أكثر التصريحات إثارة عندما طُلب منه أن يقرأ مقطعاً من الرواية التي أنقذته من الانتظار. وانصاع جوليان وبدأ بالقراءة وفي المقطع الأول وبدلاً من أن يقرأ اسم البطل أدريان فين قرأه أدريان ثورن.. لكنه استدرك قائلاً إن اسم أدريان ثورن هو اسم البطل الذي اخترته في النسخة المسودة من الرواية، لكنني بعد ذلك استبدلت به أدريان فين نسبة إلى عائلة لاعب الكريكيت البريطاني ستيف فين. وبينما أرديان ثورن هو اسم لشخصية حقيقية كان صديقاً لجوليان في طفولته حيث كانا يذهبان إلى المدرسة سوية. لكنه في آخر لحظة استبدل الاسم لإيمانه


الروائي جوليان بارنز

بأن أسماء الرياضيين أكثر رسوخاً في الذاكرة. وربما، كما قال أحدهم، لو لم يبدل جوليان الاسم لما فاز بالبوكر!!
يصف جوليان من وجهة نظر نقدية بأن الكتب مثل الحيوانات بهيكلها الخارجي. تتكون من جسم ورأس وذيل وعلى المؤلف أن يؤلف ما بينهم. ليخلق العمل الجميل المتناسق.

كما صرح أن بذرة هذه الرواية «الإحساس بالنهاية» كانت سلسلة من الرسائل الإلكترونية التي تبادلها مع شقيقه الفيلسوف جوناثان بارنز. وكيف أنه كان يسترجع معه، من خلال الرسائل، أيام طفولتهما فيسأل شقيقه بإلحاح كيف كان جدهما يقتل الدجاج؟! ويرد عليه جوناثان بأن الذاكرة ليست مرشدنا الوحيد للماضي. كان جوليان يعدها، وجهة نظر، لكن انتهى به الأمر في المستقبل أن يكتب كتاباً عن الزمن وصيرورة الحياة، ويفوز بالبوكر.

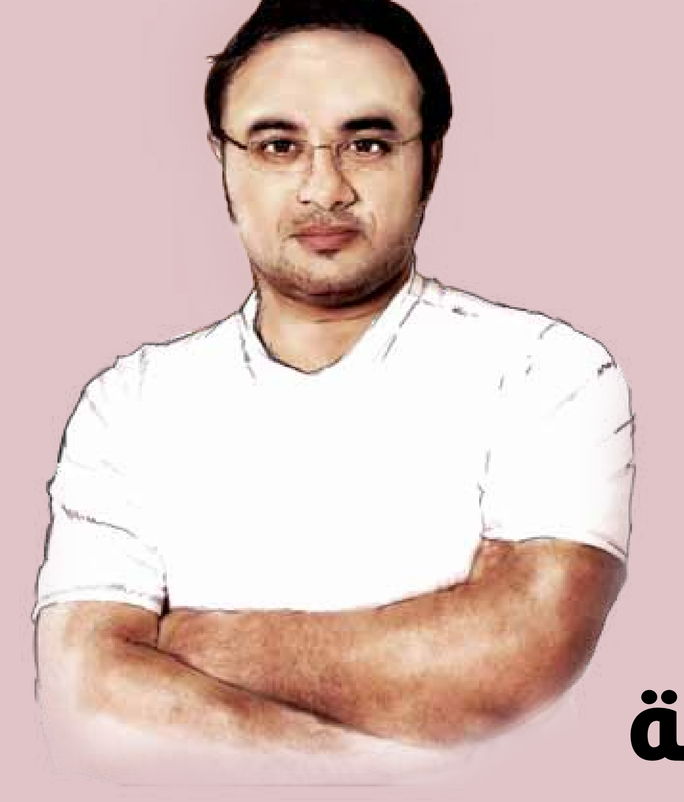
الناقد هيرمن لي سأل: هل تدعو هذه الرواية إلى العزلة على طريقة جوستاف فلوبير أم العزاء على طريقة جورج صاند.. لكن جوليان أجاب بدبلوماسية: في روايتي القادمة ستكون ذاكرة كل شخص محل ثقة. لا أحد يشيخ ولا أحد يموت، وإن ماتوا فسيذهبون إلى الجنة. وقال الذي أريد أن أعرفه بالفعل.. كيف كان جدي يقتل الدجاج!

إن هذا السؤال الذي أثاره جوليان في رسائله الإلكترونية مع شقيقه الفيلسوف، وأثاره مرة أخرى في أول ظهور له بعد البوكر يجعلنا نتساءل هل ذاكرة جوليان حادة جداً، لدرجة أنها لا تُسقط التفاصيل مطلقاً، ويؤلمها كثيراً أنها لم تجد إجابة شافية حول جد جوليان وطريقته في ذبح الدجاج؟!

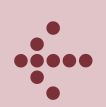
ديوان الأمس

يستضيف هذا الباب المكرّس للشعر قديمه وحديثه في حلته الجديدة شعراء أو أدباء أو متذوقي شعر. وينقسم إلى قسمين، في قسمه الأول يختار ضيف العدد أبياتاً من عيون الشعر مع شروح مختصرة عن أسباب اختياراته ووجه الجمال والفرادة فيها، أما الثاني فينتقي فيه الضيف مقطعاً طويلاً أو قصيدة كاملة من أجمل ما قرأ من الشعر.. وقد يخص الضيف الشاعر «القافلة» بقصيدة من آخر ما كتب.. أو قد تختار «القافلة» قصيدة لشاعر معاصر.

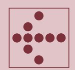
ديوان اليوم



ابن خفاجة
صخب حياة وجنون موت



يستضيف ديوان اليوم ديوان الأمس الشاعر السعودي زكي الصدير، ليقتنص من ديوان الأمس متمثلاً في ديوان ابن خفاجة التساؤل الفلسفي حول الموت والحياة. مقدماً لنا قراءة مختلفة عن الصخب والجنون في الحياة والموت. إنها قراءة بعيدة عن الخوف الذي يثيره الموت في النفس..قريبة من الصخب الماتع الذي تثيره الحياة. قراءة في الطبيعة والليل.



لا يذكر الشعر الأندلسي حتى يتقدم ابن خفاجة «450-533 هـ» صفوفه بأجمل حلله، ليزيّن تفاصيل عصر ملوك الطوائف بجنون المرايا وقلق الأسئلة الوجودية في قريته الجميلة الصغيرة «شقر» التي ولد بها بالقرب من بلنسية، هذه القرية التي وصفها ياقوت الحموي في معجم البلدان قائلاً: «هي أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماءً». والتي سيطر عليها الإسبان لاحقاً ليخرج ابن خفاجة منها ويتغرّب عنها زمناً طويلاً فلا يعود لها إلا بعد أن يستردها يوسف بن تاشفين. الأمر الذي يجعلنا أمام غنائيات كثيرة تصادفنا في ديوانه تجاه الوطن والأرض والحنين له والشوق إليه.

حين يكون الموت موقفاً:

يبدو لنا، ونحن نطالع ابن خفاجة، شاعر محمّل بالهم الوجودي، وبالتساؤل الفلسفي عن الموت والنهايات، لا سيما في تلك القصائد التي قالها بعد الخمسين من عمره. ولو تأملنا قصيدته المشهورة في وصف الجبل التي مطلعها:

بعيشكَ هل تدري أهوج الجنائب
تخب برحلي أم ظهور النجائب

لوجدنا هذا المعنى حاضراً بشدّة فيها، فهي ذروة في التعبير عن هذا الهم الإنساني الذي يعتصر قلب الشاعر ويسحقه لعدم قدرته على توصيف إجابات مقنعة بالنسبة له. فالجبل في النص هو ابن خفاجة «أو ما يتمنّى أن يكون» حتى تمرّ عليه صروف الدهر دون أن تؤثر فيه، فيبقى والأشياء من حوله تزول وتفنى.

هذه الفوبيا الحاضرة دائماً من الموت والنهاية جعلت ابن خفاجة يخرج لجبال قريته شقر ليهتف كل ليلة «يا إبراهيم تموت» –يخاطب نفسه- ويجاوبه الصدى، فما زال كذلك حتى يغشى عليه.

إنّ هذا الهاجس من الموت ليس جديداً، فلقد كان مرافقاً لشعراء سبقوه، ولشعراء جاؤوا بعده، ألم يقل أبو ذؤيب الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ

ولو تتبعنا بعض ما أنجزه شعراء العصر الحديث لوجدنا هذا الهم الفلسفي حاضراً في تفاصيل نصوصهم وفي الكثير من يومياتهم ودواوينهم، فها هو الراحل محمود درويش يفرد ديواناً كاملاً ليعالج قلقه تجاه النهايات، الأمر نفسه وجدناه قبله لدى شاعر المهجر الكبير إيليا أبو ماضي حين بثّ تأمله في قصيدة الطلاسم المشهورة. الموت هاجس إنساني ملازم لا يمكن الفكاك منه، لهذا نبصر شاعرنا الفنان يتحسس في معظم قصائده من هذا الكائن الغيبي، ويحاول أن يحاوره أحياناً، أو يشتكي إليه ومنه ومن حتميته في أحايين أخرى.

ولعلّ قصيدة «سرحة واد» تحمل شيئاً مبطناً من هذا الحضور الماورائي في وعي الشاعر، خصوصاً في المقاطع الأخيرة من النص عندما يقف ابن خفاجة موقفاً قلقاً من الشيب والكبر ليس في هذه القصيدة فحسب بل في قصائد أخرى:

وأيّة شيبة إلا نذيرٌ
فهل طرب وقد مثلت خطيبا

الشيب في هواجسه هو نذير الموت وداعيه، إنه المبشر بالمصيبة، غير أنه مع ذلك أخف وطأ منه:

وقد خفّ خطب الشيب من جانب الردى
فصارت به الصغرى التي كانت الكبرى

رغم ذلك كله يحاول ابن خفاجة تسلية نفسه بأنه «أي الشيب» وقار وزينة للرجل، لكنه لا ينسجم كثيراً مع هذه التعزية، فالنذير يرعبه بمملكة الموت القادم:

وكل امرئ طاشت به غرة الصبا
إذا ما تحلّى بالمشيب تحلّما

ابن خفاجة وهو يعيش هذا القلق كان ملتفتاً إلى التسلسل الحياتي الطبيعي، فالزمن يحيل للكبر، والكبر للشيخوخة والموت. إنه يسمع ابن دريد وهو يردد:

إن الجديدين إذا ما استوليا
على جديدٍ أدنياه للبلا

هذا القلق ليس غريباً، فكل الناس يستشعرون بداخلهم هذا المصير الوجودي، غير أننا –هنا- أمام شاعر أحسه وامتزج معه فلسفياً منذ طفولته المبكرة، لذا عاش الموت ساعة بساعة ولحظة بلحظة في كل نفس، ومع كل طرفة عين.

إن هذا الهاجس من الشيب والهولة وانحسار الشباب والإحساس بالموت جعلت للذكريات طعماً خاصاً لديه، طعماً من نيران ولظى ترعبه وتخيفه، فهو يتحسس ويراقب على الدوام نحول جسمه، وضعف بدنه وبعض أعضائه:

فآهٍ طويلاً ثمَ آهٍ لكبرةٍ
بكيتُ على عهدِ الشبابِ بها دما
وقد صدئت مرآة طرفي ومسمعي
فما أجدُ الأشياءِ كالعهدِ فيهما
وهل ثقة في الأرض يحفظ خلةَ
إذا غدرا بي صاحبانِ هما هما؟!

قصيدة «سرحة واد» يمتزج فيها هذا القلق بالحنين إلى الأرض والوطن ليوازن عوالمه، ويشعر بأمان الأرض تجاه الزمن المترصد له بمناياه. إنه يحتمي بالمكان من الزمن.

الطبيعة بوصفها كائناً

المكان المتمثّل بالطبيعة في قصيدة ابن خفاجة إنسان صديق يلجأ إليه الشاعر ليتحاور معه، ويبث له همومه ومعاناته. ولعلنا نلمس هنا كيف أن صورة البرق أثرت في نفسيته:

لكَ اللهُ منْ برقٍ تراءى فسلّما
وصافحَ رسماً بالعذيبِ ومعلَما
إذا ما تجاذبنا الحديثَ على السّرى
بكيتُ على حكمِ الهوى وتبسّما

هذه الطبيعة ليست دائماً ضاحكة طروباً كما يرى الدكتور جودت الركابي في كتابه «في الأدب الأندلسي»، بل هي أحياناً – إن لم تكن غالباً – تتألم استجابة لمشاعر الصديق الشاعر الذي جاء يشتكي لها:

فسلَى بما أبكى وسرَى بما شجا
وكان على ليل السرى خير صاحبِ

والطبيعة في شعر ابن خفاجة إنسان متشكّل يقبل جميع الصور، ويتقمص كل الأدوار المطلوبة منه، ولعل هذا الحضور للطبيعة في نصوصه هو الأمر الذي حاز به قصب السبق في أنسنتها والتماهي معها، فهي البرق والشجر والطير والعين والركاب.

ولم يكتف ابن خفاجة بذلك بل ذهب لتصنيف قصائده وجمعها وعنونتها مطلقاً عليها أسماءً مستوحاة من قلب الطبيعة التي أحبها: «نارنج في أغصانه، كواكب محترقة، روضة وغدير، الحديقة» إلى آخر هذه العناوين التي تعكس هذا المعنى خصوصاً إذا ما عرفنا أن ابن خفاجة قام بتصنيف وعنونة ديوانه بنفسه.

الليل... الرمز المخاتل

لا شك أن الرمز هو وسيلة تعبير لما يختلج في اللاشعور، وبالتالي فهو وسيلة إدراك للشيء الذي لا يجد الشاعر معادلاً لفظياً له، وهو عبارة عن الإشارة إلى شيء معنوي عبر شيء حسي، والرمز في الأسلوبية الجديدة هو نفسه الاستعارة والمجاز في البلاغة.

من هنا فإن اشتغالات ابن خفاجة الشعرية ملغمة بتلك الرموز التي تتعلق بالنهايات والظلام والعدمية والمجهول. ويختار ابن خفاجة مشهد الليل ليفتتح به العديد من القصائد:

وليل إذا ما قلت قد باد فانقضى
تكشف عن وعد من الظن كاذب

ويقول:

وليل كما مدّ الغراب جناحه
وسال على وجه السجل مداد

ويقول:

في ليلة قد بات يلمس تحتها
حبراً لسان البارق المتوَقد

ويقول:

وليل تعاطينا المدام وبيننا
حديث كما هبّ النسيم على الورد

ولو تقصينا الديوان لوجدنا الكثير من القصائد التي وظف ابن خفاجة فيها مفردة «الليل»!!

الليل هنا رمز حاضر في وعي الشاعر، إنه لا يعنيه – أبداً – هذا الليل الزمني الذي يأتي بعد النهار، إنما يذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، حين يرى فيه ذلك الكيان المجرد المعنوي الذي يرمز إلى كل ما يهم الإنسان ويزعجه، وكأن هذا الليل هو المارد الذي يريد أن يلتهم الشاعر ووطنه.

لليل دلالات كثيرة تتجلى وحسب قراءة معانيها لدى المتلقي الذي يعيد صناعة الرمز، بيد أن إحدى دلالاته التي لا تنفك عنه هي دلالة اللون، فالسواد هو ثوب هذا الكائن المخيف، واللون الأسود هو الآخر يعبر عن حضور تجريدي له دلالاته النفسية في القصيدة.

يحدثنا كل من أرّخ لابن خفاجة أنه عاش طورين مختلفين في حياته الطويلة، الطور الأول تمثل في حياة الشباب المشاكس اللامبالي، الذي أخذته الدنيا بتنوع مفاتنها، وشملته بنعيم حظوظها، فانساق لها انسياق الراغب. وأما الطور الثاني فكان طور المشيب والكبر، فكان فيه سالكاً مسلك الرشاد، يكره أن يسمع من أحد ما كان من ماضيه، إلى درجة أنه عاتب بقصيدة الفتحَ ابن خاقان عندما بلغه أنه تعرض له في كتابه «القلائد» وذكر أيام شبابه ومجونه:

ما للصديق وقيت تأكل لحمه
حياً، وتجعل عرضه منديلا

ومع ذلك، كان في الطورين ذلك الإنسان المغترب الباحث عن الجمال والواصف له وللأشياء من حوله بعيون ترى ما لا يراه الآخرون.

بيانو على شرفة القلب

زكي الصدير

لها شِرفتان وباقةُ وَردٍ ووجهُ قمرْ
هناك سماءٌ على شرفَةِ العمر
توصي لنا كلّ يوم بنسج الحكَايا وفكّ الهدايا
وتلوينِ هذا الجدارِ بلونِ المرايا وبعضِ الصورْ

هناك فضاءٌ لعازفةِ القلبِ
تجلسُ خلفَ البيانو
تراقصُ ما تشتهي منْ غيومٍ
وتحلمُ...
مشتاقةً للعطور الشهية
مرتاحةً بموسيقَى المكانِ
تفكّ أزرّةَ وقتي وتأتي علَى عُمرِي بالوَتَرْ

تمشّطُ ما غابَ من ذكريات
وترقبُ ريقَ القصائد في نَهَرٍ خلفَ وجه الزجاج
له أن يعيدَ عيونَ الصّبيةِ من مغربِ الشمسِ
حتى شروقِ النَهَرْ

لهُ أنْ يعيدَ لها الوقتَ ممتزجاً بالأغاني التي لم تفارقْ يديها
وممهورةً بالمساءِ الأنيق المطلّ على جسدٍ غارقٍ بالبياضِ
لهُ أنْ يضيءَ لها فسحةً من فضاءِ القمرْ

لها كلُّ هذا الممرّ الطويلِ
وفنجانُ قهوتها المتكاسلُ في طاولات المطارِ
لها أنْ تقول حكايَتَها كلّما أرهقتها الحقائبُ
معجونةً بوجوه المنافي
ومسكونةً بغبارِ السفرْ

لنا ما لها
كلّما أيقظتها التذاكرُ
غابتْ على مسرح اللعنات
مخبّئةً في جيوبَ معاطفِها الشوكولاتا
وسارحةً في فضاء القصيدة
هذي القصيدة شاهدها وتفكّ لها قلبَها بالوصايا
وتتلو عليها حكايا النذورِ وسحرَ البخورِ ورقص الغجرْ

هناك لها ما لها
مِنْ جنونِ الترابِ ووجهِ الحبيبِ وعرسِ الزّهَرْ

لها شرفتانِ من العمرِ
واحدةٌ في المنافي
وأخرى على موعدٍ ربّما في المقاهي القديمةِ
....
أو ربّما في ممرّ القدرْ





مسرح البولشوي..
يُبعث من جديد



حرائق، وقصف، وفيضان مياه.. كل هذه الكوارث لم تستطع أن تنهي رمزاً تاريخياً من رموز الثقافة والفن في روسيا. إن سيرة مسرح البولشوي الروسي الذي تأسس كمكان عام 1835م آيلة اليوم للنهوض، وكأنه بُعث من جديد. لقد تعثر المسرح لعقود وتمت محاولات خجولة لترميمه وإعادة الحيوية له، إلا أن عام 2011م حمل في نهايته مفاجأة انتظرها الكثيرون. جاء اليوم الذي انتظره الشعب الروسي، وفنانو الأوبرا وراقصو الباليه وعشاق المسارح. سارة بدير تجول بنا بين أروقة هذا المسرح.


AFP
لوحة تمثل مسرح البولشوي في عصر نهضته

بعد ست سنوات من الترميم وإعادة الهيكلة، رفع مسرح القرن التاسع عشر ستاره ليظهر روعة متجددة في العمران وتفرداً في الأداء الفني. وتحول بجهود 3600 مهندس، ومصمم، ورسام وبناء وعامل من مبنى آيل للسقوط إلى معلم تراثي شرب ترياق الحياة وعاد بأوجه القديم الجديد.

البولشوي الكبير

تأسّست فرقة مسرح البولشوي عام 1776م بأمر من إمبراطورة روسيا كاثرين العظيمة ليعنى بفنون الأوبرا ورقص الباليه، وتولى الاهتمام بها الأمير بيتر أوروسوف وميخائيل مدوكس وكانت تقام عروض هذه الفرقة في أماكن خاصة إلى أن تم تدشين المسرح الكبير في الثلاثينيات من القرن التاسع عشر، وكان تحت سلطة الأمير أوروسوف. انتقل بعد ذلك إلى سلطة الكنيسة لفترة من الزمان قبل أن تنتقل إدارته إلى يوري غريغوروفيش الذي قاد بحنكته الفنية المسرح إلى الريادة بين ساحات الباليه في العالم.



يعد البولشوي اليوم من أقدم المسارح التي أعيد تجديدها، كما تعد عملية ترميمه الأخيرة هي الأكبر خلال 150 سنة من عمره

عندما تأسس مسرح البولشوي كان لا يوجد في روسيا آنذاك سوى أربعة مسارح، اثنان للأوبرا واثنان للمسرحيات. ولأن فن الأوبرا يحوز اهتمام طبقة النبلاء فقد سميت دور الأوبرا بالبولشيه أي الكبير، بينما مسارح الدراما سميت بمالي أي الصغير.

مآسي المسرح الكبير

تعرّض المقر الأول للمسرح الذي أسسته الشركة لفرقة البولشوي للحريق وهو مسرح بتروفسكي، فأعيد بناؤه، ولكن في مكان آخر هو مكان المسرح البولشوي الحالي الذي حرق بدوره مرتين. كما تعرّض المسرح لقنبلتين في أثناء الحرب العالمية الثانية وفي زمن الاحتلال السوفيتي، استخدمت صالات المسرح لأغراض مختلفة وتعرض للنهب والخراب، وأصبح شبه مهجور. مرّ البولشوي بإصلاحات عدة وتمكن من الاستمرار لكن بجناح كسيرة.

لقد أقيمت على هذا المسرح أكبر العروض العالمية كبحيرة البجع، والأميرة النائمة لمؤلف الموسيقى الروسي تشايكوفسكي، وأخرى للموسيقار بروكوفييف كروميو وجولييت وسبارتاكيوس. كما ضم ألمع الموسيقيين الأوروبيين، وبخاصة من إيطاليا مثل روسّيني وفيردي وبوتشيني. إلى منتصف التسعينيات، ومعظم عروض الأوبرا الأجنبية تقام على خشبات هذا المسرح بلهجات مختلفة وبجمهور متجدد في كل مرة. بالرغم من النجاح والقبول الذي لاقاه البولشوي إلا أنه عانى لمرات عدة انسحاب بعض الراقصين من العمل مثل الكسندر جودنوف وليونيد كوزلوف وفالنتينا كوزلوف.

الترميم وعهد جديد

في عام 2005م، أوقفت جميع العروض وأغلق المسرح أبوابه ليخضع لعملية ترميم شاملة ونوعية. أرادت الحكومة الروسية أن تعيد له وهج القرن التاسع عشر وروح مصممه الأول جوزيف بوف، حيث كانت الهندسة المعمارية للمكان تعكس واجهة حضارية للفن الروسي، بدءاً من الأعمدة الرخامية المحفورة بعناية والتماثيل المتقنة الصنع التي عمل عليها كبار النحاتين طيلة ست سنوات من العمل الدؤوب وبتكلفة بلغت 680 مليون دولار. تمت إعادة نسج المفروشات، وإعادة تصميم الثريات الكريستالية التي تحمل طابع القرن التاسع عشر، واستخدم ما يقارب 10 كيلو غرامات من أوراق الذهب في التصميم الداخلي لطلي جميع الشرفات. وذلك لإعادة ما تم تجريده من مظاهر البذخ المبالغ فيه بالحقبة السوفياتية. وكان التغير الكبير جلياً في ما وراء الكواليس من صوت وإنارة وتقنية.

قبلة للسياح

في 28 من أكتوبر 2011م، جاء افتتاح المسرح كعيد وطني


أحد العروض التي تمت في مسرح البولشوي مؤخراً


منطقة الأوركسترا في أثناء ترميمها الأخير

لسكان مدينة موسكو وللشعب الروسي. تم نقل الافتتاح على الشاشات الروسية والأوروبية والأمريكية ليتسنى للجميع متابعة هذا الحدث الفريد. رفع الستار في قاعة اكتست لون الذهب الأصفر ولون الأحمر المخمل، تبرق بها الثريات وتلمع الجدران حديثة الطلاء. لم يكن من المتاح توسيع مساحته كونه جزءاً من التراث فتمت إضافة طابق تحت الأرض وبهذا أصبح البولشوي يحتوي على أربع خشبات مسرحية أحدها تعد الأكبر في أوروبا.

ضم حفل الافتتاح حضور كبار الشخصيات وعلى رأسهم الرئيس الروسي، دميتري مدفيديف، ورئيس الوزراء الروسي، فلاديمير بوتين. كما حضرت شخصيات كثيرة ليعيدوا شريط ذكريات عاشوها في جنبات هذا المسرح مع أحبة لهم، واشتمل حفل الافتتاح على أداء مقطوعات اشتهر بها المسرح قديماً كباليه الحسناء النائمة، وعرض بحيرة البجع.

لم تقتصر العروض على المسرح الداخلي فقط، فقد استقبلت واجهة المسرح الحضور وودعتهم بفقرة من الأضواء المتراقصة بخفة على الواجهة الأمامية لترسم صوراً وأبعاداً مختلفة. أبهرت الواجهة الزوار بتمثال النسر ذي الرأسين الذي يرمز لروسيا في المكان ذاته الذي علق به الاتحاد السوفييتي المطرقة والمنجل لعقود طويلة. من الجدير بالذكر أن رسم الواجهة الأمامية للمسرح مطبوع على الأوراق النقدية فئة مئة روبل روسي.

أزياء عروض الباليه من مقتنيات مسرح البولشوي

يعد البولشوي اليوم من أقدم المسارح التي أعيد تجديدها، كما تعد عملية الترميم هذه هي الأكبر خلال 150 سنة من عمره. إن البولشوي يعكس الثقافة الإمبراطورية الروسية وهو اليوم،بحق، من أكبر معالم روسيا الثقافية والسياحية التي لا بد للسائح أن يعرج إليه مستمتعاً بالعروض التي يقدمها هذا المسرح، أو لمشاهدة ذلك المبنى الفاخر الذي شهد قياصرة وأميرات طواهم الزمن، وبقيت ذكرياتهم تحت ورق الذهب.

فن الانحطاط

قد يبدو أنه من المستحيل ألا تمر بنا نسخة رديئة عن لوحة لفان غوخ معلقة في غرفة انتظار في مكان ما، أو قميص يحمل رسمة لفريدا كاهلو، أو حتى علبة معدنية مطبوع عليها أحد المناظر التي رسمها مونييه.

وهكذا لم يعد غريباً أن نرى أعمالاً لمن يعدون أعلاماً في عالم الفن الطليعي، وقد تحولت واجهة لبعض السلع استهلاكية، وكتش. أتذكر أن المرة الأولى التي تعرفت فيها مصطلح «كتش» كانت في أثناء قراءتي لرواية ميلان كونديرا « كائن لا تحتمل خفته». ورغم أن الكتش ليس أمراً بالغ الأهمية في الرواية، لكنني أتذكر أنني توقفت عنده كثيراً، محاولة معرفة معناه أولاً، ثم قلقت من أن أكون من مستهلكي هذا «الكتش».

الكتش كما يعرفه معجم أكسفورد هو: فن، جسم أو تصميم صنف أنه فقير فنياً، بسبب المبالغة في تزيينه، أو بسبب المبالغة في تصوير المشاعر. لكن كونديرا يعرف مصطلح الكتش بأنه: الإنكار المطلق للانحطاط.

في البداية بدا صعباً أن أعرف ما هو الكتش، وما هو سواه، لكن قبل سنوات ليست بالكثيرة، شاهدت لقاء أجري مع الفنان الأمريكي جيفري كونز على هامش المعرض الذي أقيم لأعماله في قصر فرساي عام 2008م.

في عام 1988م أي قبل 20 سنة من ذلك اللقاء، عرض كونز منحوتة من البورسلين لمايكل جاكسون يحمل شامبانزي. ليس غريباً أن يعتبر أي شخص يعتقد بامتلاكه ثقافة فنية، أيًا كانت سعتها أن هذا كتش «فن رديء» لكن كانت صدمتي عند رؤيتي لهذا اللقاء، أن يصنف جيفري كونز فنه ككتش.

وصف جيفري كونز لأعماله بالكتش، كان صادماً بالنسبة لي، لكنه أيضاً فتح آفاقاً أخرى لفهم الانحطاط أو الابتذال، وتقدير المعاني التي يحملها. فالانحطاط أو الرخص والتفاهة، هو جزء من ثقافة الشعوب، والقدرة على التعبير عنه، هي فعلاً فن. إن اعتبار بعض أشكال الكتش فناً، لا يعني أن الفن الطلائعي ليس فناً بالتالي، بل قد تكون العلاقة بين الفن الطلائعي والكتش، هي علاقة تشبه مفهوم الين واليانق في الثقافة الصينية. فالاثنان مكملان لبعضهما أو حتى إنهما وحدة واحدة، وأحياناً نجد أن أحدهما جزء من الآخر.

كما ذكرت سابقاً، فإن وجود فن طلائعي هو أمر مرتبط ومتلازم مع وجود الكتش، فلا يمكن إطلاقاً أن يتم تصنيف أحدهما دون وجود الآخر «وبضدها تتمايز الأشياء». لكن ما يبدو غريباً هو أن تتبادل تلك الأضداد الأدوار. ففي حين ليس غريباً أن ترى لوحة ذا ليدي أوف شالوت لجون ويليم واتيرهاوس كخلفية لجهاز كمبيوتر أو جوال .. نرى أن أعمالاً لفنانين معاصرين أو فناني البوب غير شعبية إطلاقاً، في مفارقة رهيبة ومثيرة للسخرية. إن معرفة شريحة ضخمة من الناس لاسم وأهم أعمال ليوناردو دافنشي، يبدو أمراً غريباً أمام تراجع أعمال آندي وارهول المليئة برمزيات الثقافة المعاصرة، لتبقى محصورة بين نخبة ضيقة من الناس، وجدران المعارض الفنية الخاصة.

إن العديد من نقاد الفن يرون أن قيمة الكتش، تكمن في كمية السخرية التي تحملها تلك الأعمال، قد يكون هذا الأمر هو أحد الأشياء التي دعت بالكتش ليتحول لفن نخبوي، فيما يتحول الفن الطلائعي لكتش، من خلال استخداماته، و تحويله لثقافة استهلاك إنتاجاته مطبوعة على أكواب، وداخل إطارات اللوحات في معارض البيع لشركات الأثاث والتحف المتعددة الجنسيات. إن مباشرة الفن الطلائعي كمنتج بصري يحوي عناصر جمالية شائعة قد تكون سبباً في استحالة هذا الفن لمادة استهلاكية لا أكثر. في المقابل تحتاج أن تعرف الرمزية التي تغلف الكثير من عناصر فن الكتش، لتستدرك مقدار السخرية التي تحويها تلك الأعمال.

في سبب آخر لهذا التحول في مكانة «الفنيين» هو الشغف المستمر للعديد من أفراد الطبقة المتوسطة في انتهاج سلوك الطبقة الغنية، لذا يسعى كثير من أفرادها لاقتناء «الفن» حتى لو كانت نسخاً رديئة، كجزء من هذا السعي، حيث إن التعاطي مع الفن هو رفاهية تخلق الفرق بين الكادح والمتنعم. في المقابل تمارس الطبقة الغنية سلوكاً مماثلاً، و قد يكون معاكساً، في سعيها هي الأخرى للإبقاء على هذا الفرق الذي يفصلها عن بقية المجتمع، بالتوجه لاقتناء ودعم الكتش كنوع من التمايز.

إن السؤال الذي يجدر طرحه هنا: إلى متى ستظل الصورة مقلوبة؟ وهل يجدر بنا نحن أيضاً أن نقلب المسميات، حيث يصير أي فن طلائعي كتشاً، ويتحول الكتش لفن طلائعي؟!

أروى الحضيف





كائن مهمش على الجدران، خلف الأبواب أو حلقة وصل بين شيئين.. هو صغير بحجمه..كبير بعمله. ساهم في إنقاذ البشرية من طوفان مهلك، عندما حمل نوح عليه السلام صفوة الكائنات على ذات ألواح ودسر.

دسر ومسامير اسمان لأهم اختراع عرفته البشرية وأنقذها. بين أنواعه وحكاياته تطوف بنا نانسي أبو حوسة في هذا الملف وكل صفحة معلومة تثبتها بمسمار لا يجرح ولا يؤلم.

حكاية المسمار



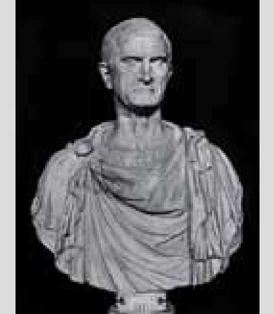
هزكييل ريد

يُعد المسمار من أقدم الأدوات المهنية التي اخترعها الإنسان منذ القدم، كما أنه من أصغرها حجماً. ويعود اكتشاف المسمار إلى أكثر من خمسة آلاف سنة مضت عندما خرج من بين بلاد فارس والأناضول. وكان يُصنع من العظم والخشب اليابس ومن ثم تطور مع ازدهار البشرية. وبقيت المسامير مختبئة وراء الكواليس في العلوم الصناعية حتى عام 1606م، عندما حاز المخترع بولر بيفيس الإنجليزي براءة اختراع عن جهازه الميكانيكي لتقطيع الحديد وصقل المسامير بأحجام مختلفة. ومع بداية الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر، توالت الاختراعات المتعلقة بالمسمار في ولاية ماساتشوستس الأمريكية. ففي عام 1786م اخترع هزكييل ريد آلة لصنع المسامير، وفي عام 1795م حاز جاكوب بيركنز براءة اختراع آلة لصنع المسامير قطعة واحدة، أي الرأس والجذع في عملية واحدة. وشكّل هذا الجهاز ثورة حقيقية في عالم الصناعة، إذ وفّرت هذه الطريقة من عملية التلحيم الحراري لأجزاء المسمار، وجعل إنتاج المسامير يصل إلى مئتي ألف مسمار في اليوم الواحد.

في عام 1851م أنتج الصناعي وليام هرسيل آلة لصنع المسامير باستخدام الخيوط المعدنية من الفولاذ، والتي تتميز بقدرتها على تحمل الضغط من الأوزان المختلفة، وكذلك التغيرات المناخية المتقلبة. ومنذ ذلك اليوم انتشرت الطريقة الثورية الجديدة في صناعة المسامير وأصبح أثرها دقيقاً، إذ لا يشترط أن يستخدمها نجار ماهر.

في يومنا هذا تُصنع معظم المسامير من الأسلاك المعدنية المختلفة على حسب أسباب استخداماتها، كما أصبح هناك أكثر من ثلاث مئة صنف من المسامير المتوافرة.

أكذب مسمارين.. مسامير العذاب



ماركوس ليسينيوس

للمسامير قصص تاريخية ودينية، ولعل القصة المزعومة لصلب المسيح بطلها مسماران دقا بشراسة فوق كفي المسيح المزعوم لتثبيته على الصليب. ظهر هذان المسماران في أغلب الأيقونات المسيحية التي تمثل المسيح مصلوباً. فالمسامير من أقسى أنواع أدوات التعذيب وأبشعها. لذا نجد قصص تعذيب كثيرة أبطالها مسامير. ففي إسبانيا في القرن الخامس عشر، إبان محاكم التفتيش، كان المسمار بطلاً من أبطال أدوات التعذيب، فكان المتهم ليدلي باعتراف ما يساق إلى غرف التعذيب القاسية التي يلقى فيها صنوف العذاب، وعندما لا يعترف أو لا يوجد عنده شيء يعترف به، فإنه لا بد أن يمر على المسمار المسنون والمحمي في النار لتفقأ به عيناه. كما كان كرسي المسامير في القرون الوسطى وحتى نهاية القرن الثامن عشر يثير الفزع لمجرد ذكر اسمه، في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا. حيث كان عبارة عن كرسي من خشب زرعت في مقعده ومسنده مسامير حادة، ومزود بأحزمة تضييق المكان عند جلوس الضحية. وكانوا أحياناً يقومون بتسخين هذه المسامير، ما يجعل القيام منه عذاباً والجلوس عليه موتاً!



ربما كان ماركوس ليسينيوس (112-53 ق.م) القائد الروماني هو أكثر من استخدم المسامير، ويقال من باب الطرافة المؤلمة أنه هو من أنعش صناعة المسامير، حيث استخدم أكثر من عشرين ألف مسمار من الحجم الكبير وهو في طريقه من روما إلى كابو، وذلك لصلب ستة آلاف عبد زهواً بانتصاراته.





الكتابة المسمارية..
أول خطوط التدوين



شكل اختراع الكتابة أهم الأحداث في التاريخ الفكري للإنسان، فهي الحد الذي بدأ عنده توثيق التاريخ منذ اختراعها حتى يومنا هذا. والكتابة المسمارية هي اللغة المكتوبة للغة الآكادية التي تعدّ من اللغات الساميّة كالعربية والآشورية والبابلية والعبرية. وأصبحت اللغة الآكادية أم اللغات المكتوبة والمقروءة معاً بمفهوم اللغات المعقد كونها أوّل محاولة لممارسة الكتابة، فكانت تنقش فوق ألواح الطين والحجر وغيرها من الأسطح التي كانت متوافرة قبل ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، أي قبل ظهور الأبجدية بـ1500 سنة، وظلت سائدة حتى القرن الأول ميلادي. وظهرت أولاً في جنوب بلاد الرافدين وكان يتكلمها البابليون والآشوريون ولا تمت بصلة إلى أي لغة معاصرة. كما كانت اللغة المعتمدة لدى الشعوب القديمة بجنوب غربي آسيا.

وسميت اللغة بالمسمارية لأنها كانت تكتب بطريقة النحت على الحجر بالمسامير، وتم اعتمادها في تلك الفترة التاريخية كلغة مكتوبة للغة الآكادية.

في القرن التاسع عشر تمكن مجموعة من الباحثين وعلماء الآثار من فك رموز الكتابة المسمارية ومحتوى نصوصها التثقيفية، إذ احتوت على العديد من التعليمات الإدارية والتاريخية والفلكية والطلاسم والقواميس المسمارية التي جمعت وحدها ما يعادل 130000 لوح طيني موجود في المتحف البريطاني في سوريا. وازدهرت الكتابة المسمارية إبان حكم الملك حمورابي (1728– 1686ق.م) وانتشرت بين الناس في تلك الفترة، وأصبحت اللغة الرسمية في المعاملات وفي الشؤون الحياتية العامة كالمعاملات التجارية والمراسلات، ونصوص الأدب، والشؤون الدينية والعبادات.

وكان أوج ازدهارها عندما أمر حمورابي بجمع العلوم وتدوينها، ما ساهم في انتقال الحضارة من بلاد الرافدين إلى جميع أنحاء البلدان المجاورة وإلى أطراف العالم القديم. أما الملك آشوربانيبال الذي كان يعد من أكثر ملوك العهد الآشوري ثقافة (668–626ق.م) فكان له الدور في نسخ الكتب وتجميعها على الألواح الطينية. فجمع الكتب من أنحاء البلاد وخزنها في دار كتب خاصة طلب تشييدها في نينوى بالعراق. أما أداة الكتابة المسمارية فكانت عجينة الصلصال التي تتم الكتابة عليها وهي لينة ومن ثم تحرق لتتصلب.

واستغرق تطور اللغة المسمارية آلاف السنين تميّزت في ثلاث مراحل أساسية، بينما ألهمت في جميع مراحل تطورها العديد من الحضارات التي تأثرت وأثرت بها. وهذه المراحل هي:

المرحلة الصوريّة: وهي أولى مراحل جميع الكتابات المعروفة حول العالم. وسميت بذلك لأنها تصور بشكل تقريبي الأشياء المادية بمبدأ الرسم نفسه. أما مضامين النصوص المكتشفة فكانت بمعظمها تتناول الشؤون الاقتصادية. أما الجزء الآخر فكان لأهداف لغوية تعليمية.

المرحلة الرمزية: في هذه المرحلة تغيرت العلامات الصورية وأصبح الكاتب يكتفي بالتعبير عن الأشياء بشكل رمزي. وكان السبب الرئيس وراء تطوير المسمارية بهذا الاتجاه حتى تصبح الطريقة الصورية من الممكن قراءتها بأي طريقة وبغض النظر عن لغة كاتبها.

المرحلة الصوتية: وهي آخر المراحل وأهمها التي مرت بها الكتابة المسمارية وأكثرها تطوراً، وتم الدمج بين الطريقتين الصورية والرمزية، بالإضافة إلى ابتكار طريقة جديدة تساعد على كتابة أسماء الأعلام واستخدام صيغ الأفعال، والربط بين أجزاء الجملة الواحدة. وبذلك أصبحت المسمارية أول من ابتكر الطريقة الصوتية في الكتابة، والتي انتشرت فيما بعد في أنحاء العالم كافة لسهولة تعلمها وكتابتها.



المسمار في الهندسة

والمِسْمارُ هو: (ما شُدَّ به) كما ورد في «لسان العرب» ويستخدم بشكل رئيس في مجالي النجارة والبناء لوصل العناصر الإنشائية مع بعضها بعضاً. وهو دبوس معدني حاد الشكل يُصنع من الصلب وكبريتات الحديد أو الألومنيوم، ويسمى أيضاً بالدبوس أو المشبك. ويرتبط عمل المسمار مع المطرقة لذلك غالباً ما يكون رأسه مسطّحاً على عكس سنّه الإزميلي.

أنواع المسامير



للمسامير أنواع عديدة فهو أبو الحضارة دون منازع.. هو الوصل بين الحديد والحديد.. بين الخشب والحديد أو الخشب والخشب.. أنواعه تجعل منه الجندي المجهول الذي يختفي بين السطح والباطن ليشكل توليفة من عمل خلّاق.

مسامير البرشام Rivets



تستعمل مسامير البرشام لربط قطاعات الحديد ببعضها. ونوع البرشام الشائع الاستعمال هو ذات القصبة والرأس الكروية. ولولا هذه المسامير لما أنشئت ناطحات السحاب.

مسامير الر بط وصواميلها
Bolts and Nuts





تصنع مسامير الربط من الحديد الأسود المطاوع وتستعمل في ربط قطاعات الحديد بالموقع. حيث تدخل قصبة المسمار في الثقوب المجهزة بقطاعات الحديد المراد ربطها، ثم تربط نهاية قصبة المسمار الرابط بالصامولة الخاصة به، ثم يحكم الربط عليها. ولولا هذه المسامير لما رأينا سيارة تمشي في الطريق.

مسمار القلاووظ

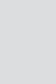




القلاووظ هو مسمار ذو مستوى مائل ملفوف بشكل لولبي حول عمود، تم تطويرها في العصور القديمة ويسمى أيضًا البرغي أو المسمار اللولبي. يوجد أنواع وقياسات مختلفة من البراغي وكذلك المادة المصنوعة منها. فقد يكون البرغي مصنوعاً من الحديد العادي أو الحديد المغلفن أو البراص أو الألومنيوم أو البلاستك، ولكل منها استخداماته الخاصة. كما أن أنواع المسامير الموجودة في الأسواق والمستخدمة في الصناعة تعد بالآلاف ويحكمها نوع مادتها وطولها وقطرها ونوع تسنينها.

برج إيفل

مليونان ونصف المليون من المسامير تقوم بعملية ربط أضخم وأكبر برج حديدي في العالم، إنه برج إيفل أعجوبة الحديد والمسامير، ورمز مدينة النور باريس.









القذائف المسمارية (الفلاشيت)

وهي نوع من الذخيرة التي يتم إطلاقها عادة من الدبابات الحربية، وتعمل آليتها على أساس أن تطلق في الهواء لتنفجر في مكان عالٍ، لتطلق آلاف القطع المعدنية بطول يصل إلى 3.75سم كالمسامير. وما يزيد من مقدار شرّها هو قدرة القذيفة على الارتفاع إلى حوالي 300 متر لتصل المساحة المستهدفة إلى قطر يبلغ طوله 90 متراً. ومن المعروف استخدام الجيش الإسرائيلي للقذائف المسمارية بأبشع قدراتها حيث تكمن الأفضلية العسكرية في القذائف المسمارية في قدرتها على اختراق العوازل وإصابة كل من يقع في محيطها دون استثناء. ولا يزال الآلاف من الأطفال والنساء في فلسطين ولبنان يحملون آثار استعمال الجيش الإسرائيلي لقذائف الفلاشيت. وعلى الرغم من أن القذائف المسمارية ليست محرمة دولياً بشكل صريح في القانون الإنساني الدولي، إلا أن استخدامها واجه العديد من التنديدات في الأوساط الحقوقية ولدى لجان حقوق الإنسان. وذلك نظراً إلى مداها الواسع الذي يطال الأبرياء ويبدو أشبه بإطلاق النارعشوائياً و دون تمييز.

الجسور المعدنية ذات المسامير

جميعنا يسمع بالوجبات السريعة، لكن قلّة منّا قد سمع بالجسور السريعة. إن الجسور في المدن هي فرجة من الاكتظاظ والازدحامات المرورية، لذا بعض المدن تحتاج أحياناً إلى حلول سريعة وجذرية. ولا يتأتى ذلك إلا بالجسور المسمارية!

يتميّز هذا النوع من الجسور بسرعة تنفيذه وسهولته. ويعيب هذا النوع وجود احتياطات شديدة لضمان دقة تنفيذ الوصلات، وخصوصاً عندما يكون تجميع الوصلات باستخدام المسامير. يتم عمل فتحات المسامير داخل المصنع، ويراعى تثبيت الصواميل بأجهزة خاصة لتطبيق العزوم نفسها على جميع الصواميل، بحيث لا يكون عرضة للانهيار. ولعل جسر نانبو في الصين الذي استغرق بناؤه ثلاث سنوات ويعد زمناً قياسياً بالنسبة لتصميمه الذي ربما استغرق عشر سنوات. إن هذا الجسر الذي اسُتخدمت فيه تقنية عالية تجلت في مساميره التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ الجسور.









المدرسة المسمارية في دمشق



للمدرسة المسمارية في الشام جانبان مهمان، أحدهما معنوي ديني، والآخر هندسي معماري. تقع المدرسة في قلب مدينة دمشق القديمة وبين أسوارها الأثرية بالقرب من الجامع الأموي العتيق. وهي المدرسة الأثرية التي تم تشييدها في عهد دولة المماليك بجوار جامع الشيخ مسمار، وهو مؤسسها ويُدعى حسن بن مسمار الحوراني الذي توفي سنة 546 للهجرة. وتم بناء المدرسة كما المسجد وقفاً، لذلك تم ترميمهما معاً وتجديدهما وقفاً أيضاً وجُعل لها إمامين ومؤذناً.

وفيما اليوم هي مجرد معلم أثري كانت المدرسة المسمارية صرحاً تعليمياً استفاد منه آلاف التلاميذ الذين توالوا عليها.وكان الشيخ مسمار طالباً مجداً للعلم مائلاً للمذهب الحنبلي على عكس المذاهب التي كانت سائدة في بلاد الشام في تلك الفترة، فكان يصلي بجامع دمشق التراويح بحلقة الحنابلة ويحضر دروسهم ويتردد على مجالسهم. وعندما توفي أستاذه الشيخ أسعد بن المنجا بنى المسجد ومن ثم المدرسة وجعل وقفهما له.

أمّا بالنسبة لتصميمها المعماري فبالرغم من عمليات الترميم بالمواد الحديثة كالحجر الصناعي والألواح الرخامية، إلا أنها لا تزال محتفظة بمعالمها القديمة. ولعل أبرز معالمها هذه المئذنة الجميلة في الجهة الغربية ذات شكل مربع أيوبي الطراز، من حيث البساطة والارتفاع. في نهاية المئذنة من الجهة السفلى هناك شرفة خشبية وحيدة مثمنة الأضلاع تغطيها مظلة خشبية بارزة تم ترميمها على شكل مخروطي يحاكي الطراز العثماني. هذا وتم توثيق المدرسة المطلة على جادة القيمرية في عام 2006م ضمن المباني الأثرية العالمية في مدينة دمشق تحت اسم المدرسة المسمارية، وذلك في كتاب العمارة والمجتمع العثماني في مدينة دمشق بالقرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين.

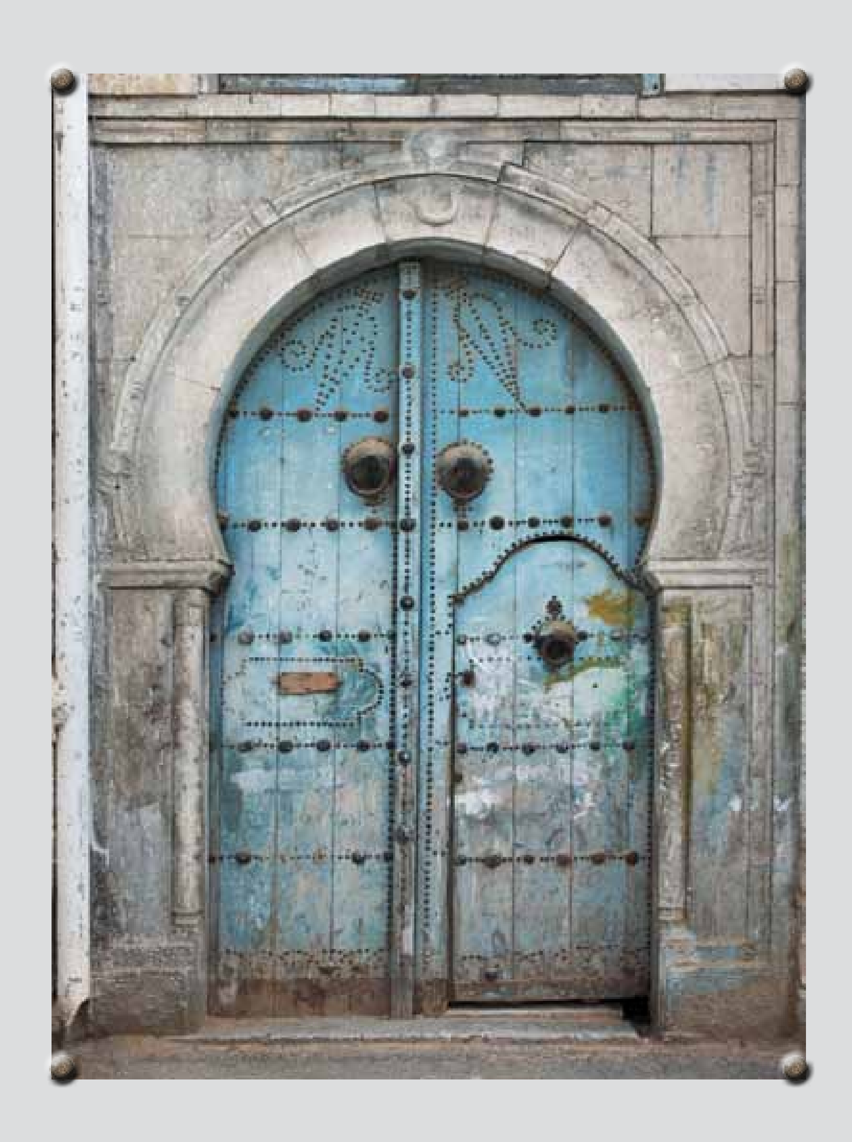




المسمار في التراث الشعبي

«التمر مسامير الركب» من الحكم القديمة التي تناولها الأجداد في منطقة نجد، وتعني أن تناول التمر تحسن الصحة وتجعل الركبة كالوتد الذي يدعم الجسد. ومن المعروف أن الرُكب الضعيفة هي من علامات الهرم والكبر. كما أن التمر يلتهم الجراثيم و الميكروبات التي قد تصيب الإنسان، وفوائده على الصحة لا تعد ولا تحصى، وكذلك على هرمونات الإنسان وإنزيماته الحيوية، فهو ينشط الغدد، ويجدد الخلايا كإكسير الشباب، ويقوي الأعصاب.

أما مقولة «يدق المسمار الأخير في النعش» وتعني الأمر الذي تراكم وتفاقم دون أن يلحظه أحد حتى تحصل حادثة ما وتظهره للملأ وتكشفه. تماماً كما يُدق النعش بالمسامير حتى يلتحم ويكون المسمار الأخير فيه هو دلالة على قرب دفنه تحت التراب.



مسمار جحا

يرتبط اسم جُحا الشخصية التاريخية الشهيرة بعالم الطرف والنوادر، أمّا مقولة «مسمار جُحا» التي كادت تغلب شهرتها جحا نفسه فهي تدل على الأمور الهامشية التي تؤدي إلى أمور جسيمة مع مرور بعض الزمن، كما تُقال أيضاً عند التحجج بأمور بسيطة وسطحية دون ذكر السبب الرئيس.

وفي الحكاية التراثية أن جُحا قرّر بيع بيته، واشترطَ على المشتري الجديد شرطاً بسيطاً وغالٍ على نفسه وهو أن يسمح له بزيارة البيت بين فترة وأخرى ليطمئنَّ على مسمارٍ مدقوق في الجدار ويذكّره بالمكان الذي توارثه عن أجدادِه. أمّاً الذي حدث من بعد إتمام عملية البيع هو أنَّ جُحا ظلّ يتردَّدُ على البيت في كلِّ حين ليطمئنَّ على مسماره بإلحاح، ما سبب الإزعاج والقلق لأهل الدار، حتى تخلّوا عن البيت بالمسمار الذي فيه وهربوا قائلين «مسمار جُحا». وهكذا أصبح لـ«مسمار» جحا سمعة تنافسه على صيته.

في أبواب الخشب القديمة..

مسمار قديم

من الصعب أن يمر أحدنا من أمام باب خشبي قديم دون أن يتأمل حفر المسامير الكبيرة في الخشب، ويستدعي ذاكرة الحارات والأزقة الضيقة. ما زالت بعض هذه الأبواب الضخمة صامدة أمام الزمن كإرث فني تراثي، محتفظة بمساميرها الضخمة التي كانت جزءاً لا يتجزأ من ملامحه الفنية والجمالية.

للمسمار في الخشب دور ميكانيكي مهم، فلولا المسمار لما كان هناك باب بالمعني الحقيقي، فالمسمار هو المثبت الحقيقي وحلقة الوصل بين الباب والجدار، وهو عبارة عن المحور الأسطواني الأملس، وفي نهايته يستدق. كانوا عند تثبيته في الخشب يدهنونه بمواد تزيد من قدرته التثبيتية، بينما يتم تحديد مكان التثبيت على الخطوط الملائمة على سطح الخشب كي لا يسبب فلقه أو تعرضه لتشوهات. ولا يزال المسمار حتى يومنا هذا من أكثر الأنواع موثوقية في التثبيت، حيث لا يستغنى عنه في تركيب الهياكل الخشبية الكبيرة.



المسمار في الطب



مسمار القدم

وهو مسمار اللحم أو عين السمكة كما يسمى في بعض البلدان العربية، وهو عبارة عن بروز من نسيج لحمي ينمو على أطراف الأقدام وبين جوانب أصابع القدم. ويتكون من بقايا خلايا جلدية ميتة وقاسية تتراكم على سطح الجلد، تبدو على شكل بثور سطحية (غير معدية) ولديها قمع عميق يمتد تحت الجلد. وتظهر مسامير القدم نتيجة انتعال الأحذية الضيقة والقاسية، أو نتيجة الإصابة بأحد أمراض الروماتيزم أو السكري، ما قد يحدث خللاً في توزيع ثقل الجسم على الرجلين والقدمين.



المسمار النخاعي

كان علاج كسور عظمة الفخذ حتى مطلع القرن العشرين يتطلب رقوداً بالفراش لفترات تمتد لأشهر، وكان تضميد الكسر يقتصر على التجبيس. في سنة 1939م استخدم الجراح الألماني كانتشر جهازاً اخترعه لمعالجة كسور عظمة الفخذ من خلال وضعه مسماراً بثلاثة أجزاء مقطعية داخل القناة النخاعية للعظم المكسور لتساعد العظمة المتضررة على حمل وزن الجسم. واستخدم مسمار كانتشر كما أطلق عليه فيما بعد لعلاج الجنود الألمان المصابين في أثناء الحرب العالمية الثانية، للإسراع من عملية شفائهم وعودتهم إلى حياتهم الطبيعية.



مسامير الأسنان المثبتة

تستخدم مسامير التقويم التثبيتية أو التقويم في حالات بروز الأسنان أو تزاحمها. وهي من أحدث الطرق في علاج تشوهات ترتيب الأسنان، والتي أحدثت تغييراً جذرياً في طرق العلاج المعقدة في تقويم الأسنان. وتكمن أهمية استخدام تلك المسامير الطبية في قدرتها على تخطي صعوبات تحريك الأسنان في الاتجاهات المعينة والمطلوبة في الوصول إلى علاج تشوهات شكل الأسنان، وكذلك علاج العضة العميقة أو المفتوحة. وتم اختراع مسامير التقويم بشكلها الحالي من قبل طبيب تقويم الأسنان جريج مور في 1983م. وكان الهدف من وراء أبحاثه هو الوصول إلى طريقة لتثبيت الأسنان بعد تحريكها من مكانها. ولاقت هذه الطريقة رواجاً كبيراً لدرجة أنها أصبحت الطريقة التقليدية المعتمدة في عمليات التقويم، ولا يمكن الاستغناء عنها لعلاج تشوهات الأسنان المتداخلة. كما أنها قللت من احتماليات الحاجة إلى خلع الأسنان وقللت من فترة العلاج. وتتألف مسامير التقويم المثبتة من براغ مصنوعة من معدن التيتانيوم، ويتراوح طولها ما بين خمسة و 12 ملليمتراً، أمّا سماكتها فتتراوح ما بين واحد واثنين ونصف ملليمتر. ويتراوح سعر المسمار الواحد بين الأربعين والستين دولاراً أمريكياً. ولاستخدامات مسامير التقويم فوائد لا يمكن تحقيقها إلا بها، فاستخدام المسامير بالطريقة الصحيحة يقضي على أي فرصة لحدوث مضاعفات ممكنة نتيجة تحريك الجذور. كما أن استخدامها يقلل من فرص استخدام الأسلاك المزعجة والتي تسبب الإحراج بسبب شكلها البارز.





المسمار «القرنفل»

يطلق عليه في بلاد الشام «كبش القرنفل» ويتماثل شكله مع المسمار تماماً. ويُعرف باستخداماته المتعددة في الطب الشعبي في علاج حالات الضعف البدني وعسر الهضم، والأعراض التي ترافق التلبك المعوي مثل حرقة المعدة والغثيان والانتفاخ وطرد الغازات. كما يستخدم في دول الخليج العربي كمطيّب للشاي والقهوة، وذلك لرائحته العطرية الذكية. وكان يستخدم قديماً في تركيب الكحل لما فيه من فوائد في حدّ البصر وإزالة الغشاوة. كما يرتبط المسمار العويدي بالعديد من المعتقدات



الشعبية حول ردّ الحسد وتهيئة أرحام النساء للحمل وتنظيم دورة الحيض، وكذلك في التخفيف من أعراض الوسواس وما يرافقه من سلوك سلبي بسبب رائحته التي تُدخل البهجة إلى النفس. تم التوصل، مؤخراً، إلى اكتشاف مادة كيميائية في المسمار أو العويدي يمكن استخلاصها واستخدامها كمادة مخدرة ومعقمة للثة. وتوصل لهذا الاكتشاف ثلاث باحثات عراقيات من خلال تقطير براعم زهور نبات القرنفل لإنتاج مادة اليوجنول، وهي المطابقة تماماً للمخدر المستخدم في طب الأسنان، وذلك يستخدمه الكثيرون بشكله الطبيعي لعلاج الآلام الموضعية في الأسنان بالعض عليه في موضوع الألم. أمّا من جهة أخرى فصدر تحذير طبي من مضاعفات استخدام القرنفل بشكل مبالغ فيه لوجود مادة اليوجنول نفسها، والتي تسبب إتلاف الأنسجة الباطنية وأهمها الكبد، وخصوصًا في حال تعاطيها من قبل شخص يعاني، أصلاً، مشكلات في وظائف الكبد والطحال.

المسمار في المنام

تشير كتب التحليل النفسي إلى أن المسمار يحمل دلالات أوضح من غيره من الأشياء التي يتم رؤيتها في الحلم، ويعدُّه العديد من مفسري الأحلام قبل سماع الحلم بأنه ينذر بالتعب الكثير والراحة غير اليسيرة، خصوصًا ما إذا كان المسمار صدئاً أو مكسوراً. وحتى لو كان شكل المسمار سليماً في الحلم فهو يدل على الجهد والتعب في الوصول إلى الغاية المرادة.

وفي كتب تفسير الأحلام إذا حلم الشخص بأنه تأذى من المسمار فهو دلالة على أذى فعليٍّ سوف يحدث. أما إذا تخلص الشخص من المسمار في نهاية الحلم فهو دلالة على قدرته على تخطي الأزمات.

وفي تفسير معاكس لمدرسة التحليل النفسي يقول بعضهم إن المسمار في الحلم يدل على الجنود والأعوان، وعلى الرزق الوفير.

المسمار أداة الربط والارتباط

يظهر المسمار اللولبي كأداة ربط محكمة، خصوصاً عندما تقوم بتثبيته بوساطة المفك. ولم يخطر على بال أحد أن رأس هذا المسمار اللولبي المحفور في وسطه إشارة السالب سيكون ملمح جمال! عندما قام لوي كارتييه باختراع ساعة المعصم في عام 1904م، صممها بطريقه مبتكرة، حيث ثبت أطرافها بالمسامير، لم يكن يعلم أن مسامير ساعته، التي سماها سانتوس تيمناً باسم الشخص الذي صممها لأجله، ستكون هي العلامة الفارقة والجمالية لساعات ومجوهرات دار كارتييه العريقة. فكان مسمار الربط في مجموعته الحلي التي سماها لوف علامة الحب والارتباط الأبديين.. وذلك عوضاً عن فكرة القلب والمفتاح التي باتت مستهلكة في أمور الحب والزواج.





المسمار في الفن السابع

فلم «مسمار جُحا»



وهو فلم عربي تم إنتاجه في مصر وعُرِضَ في 1952م. ويعالج الفلم الوضع السياسي وشؤون الانتماء الوطني الذي كان محوراً سائداً للحياة الاجتماعية في تلك الفترة مع وجود الاستعمار البريطاني لمصر. وفي حبكة غير جديّة ومليئة بالتحوير لأقوال تاريخية معروفة ومستمدة من شخصية جحا التراثية تم إخـراج الفلم للتعبير عن واقع الشارع العربي. كما وُضع على غلاف الفلم عبارة «قضيةُ البلاد العربية وأمانيها الوطنية». ولقد شارك في هذا الفلم مجموعةٌ كبيرةٌ من الممثلين اللامعين في تلك الفترة مثل إسماعيل ياسين، كمال الشنّاوي، ماري منيب، زكي رستم وغيرهم. أما أغاني الفلم فشارك في تلحينها سيّد درويش وزكريا أحمد. والجدير ذكره هو أن الفلم مأخوذ عن مسرحية الأديب العربي المعروف علي أحمد باكثير.



مسلسل «جحا المصري»

وهو مسلسل كوميدي اجتماعي مصري تم عرضه خلال شهر رمضان في عام 2002م على شاشة التلفاز المصري. وتناول المسلسل الحكاية التراثية الخاصة بشخصية جحا في إطار درامي معاصر، والذي قام بتجسيد دوره الممثل يحيى الفخراني بمشاركة منى زكي، سعاد نصر، رانيا فريد شوقي، أحمد رزق وغيرهم من نجوم الشاشة المصرية. أما المسامير في هذا المسلسل فجاءت بشكل رمزي متغير على مدى ثلاثين حلقة على شكل نوادر لأغراض النقد الاجتماعي على طريقة جُحا في ادعاء الغباء بأسلوب فكاهي في مواقف جدية.

مسلسل «مسامير» الكرتوني السعودي



مسلسل أسبوعي اجتماعي تم بثه إلكترونياً خلال عام 2011م، وتطرق إلى قضايا عديدة تهمُّ المجتمع السعودي بطريقة طرح جديدة. صمم المسلسل (أخرجه) الشاب السعودي مالك نجر بالتعاون مع الكاتب فيصل العامر. وعُـدَّ البرنـامـج على أنـه نقلة نوعية في ثقافة الإعـلام السعودي الجديد. وتم اقتباس قصة المسلسل من كتاب يدعى «شغب» للكاتب فيصل العامر نفسه، والذي عبّر فيه عن رغبته في إصلاح بالمجتمع وتفادي الأخطاء التي تهز أواصره من خلال ممارسة النقد البنّاء.





فلم «المسمار» الأمريكي

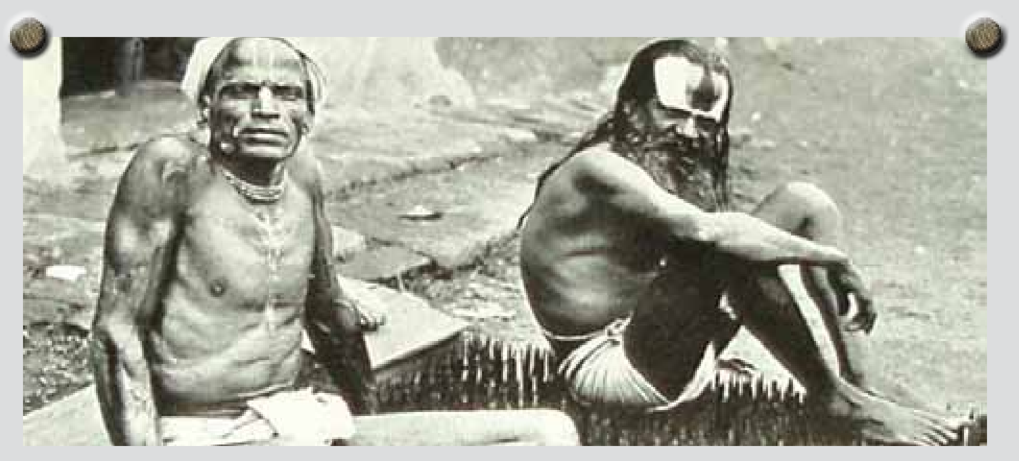
فلم دراما اجتماعي عُرض في عام 2009م، ويروي قصة ملاكم من الوزن الثقيل يُدعى جوي ناردون، وهو ذو شخصية متضاربة ومتصارعة مع نفسها، بعد أن أمضى 8 سنوات في السجن نتيجة ارتكابه جريمة غير متعمدة. ويعود جوي إلى حياة منعزلة في المنطقة التي نشأ فيها في فيلادلفيا كغريب لا يربطه بالناس من حوله سوى ذكريات ما قبل دخوله السجن. ولكي يساعد نفسه على إتاحة الفرصة في التفكير وتخطي الشعور بالغربة، ولكي ينخرط في مظاهر الحياة الطبيعية، يسلِّم وظيفة في الصالة الرياضية التي كان يتمرن فيها على الملاكمة. وفي خضم بحثه في إيجاد معنى لحياته، يلتقي طفلاً بورتوريكياً عمره 14 عاماً ويعاني آلاماً عاطفية ومراهقة غير سلسة، وتنشأ بينهما علاقة تعاطف من قبل جوي ما لبثت أن تحولت إلى صداقة متبادلة نتيجة تعرض الولد للضرب مراراً وتكراراً من قبل بلطجية الحي الذي يقطنون فيه. وبينما وجد جوي في صديقه الصغير إسقاطاً لمعاناته في شتى مراحل حياته، وجد الطفل في جوي صورة الأب والرفيق التي شوهها والده المدمن على الكحول. وتتجلى العلاقة في أوجّها عندما يدق كل واحد فيهما مسماراً على العقبة المعنوية التي تعترض طريقه حتى يتخطاها في رحلة من الكفاح من أجل الدفاع عن النفس، في قالب درامي مشوّق لتفاوت دروس الحياة في شدتها بين شخصين أحدهما بحث عن نفسه المفقودة في الشارع، والآخر في ساحات الملاكمة في فيلادلفيا، لأن الحياة تستحق دق مسامير الكفاح والأمل وإيجاد الفرص الجديدة بعد الخسارة. فلم المسمار مقتبس من قصة لرواية درامية معروفة تحمل الاسم نفسه، وكتبها المؤلف طوني لوكاس جونيور.

فلم «مسامير» الوثائقي

وهو فلم كندي تم إنتاجه وعرضه في عام 1979م، وهو من إخراج فيليب بورسوس، وتم ترشيحه في العام نفسه لجائزة الأوسكار لأفضل فلم وثائقي قصير. وكان موضوع الفلم ببساطة عن عملية تصنيع المسامير.

المسمار بطل الحواة

يقوم فقراء الهند كنوع من الاستعراض أمام المارة بالنوم على بساط من المسامير. وتطول هذه المدة وتقصر حد أنهم دخلوا موسوعة جينيس من خلال هذا النوم المؤلم. حيث نام الفقير الهندي فرنون كريج على لوح من المسامير مدة 25 ساعة و20 دقيقة. ولا يتوقف المسمار عند النوم عليه، بل تجاوز الحواة العرب والهنود هذه المسألة إلى ممارسات أخرى ومنها ابتلاعه.. كعمل خارق.







ذات ألواح ودسر



قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ • أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. وقال ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ • وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾.

قال الحسن البصري، وقتادة، والأعمش: كان الله قد ألان لداوود الحديد حتى كاد يفتله بيده، دون أن يحتاج لنارٍ أو مطرقة، وذلك كي يعينه في عمل الدروع من الحديد ليحصن نفسه وقومه من مقاتلة الأعداء، كما كان من عمل الدروع من زرد، إذ كانت تصنع قبل ذلك من صفائح.

ويقول تعالى: ﴿وحَمَلناهُ عَلى ذَاتِ أَلواحٍ وَدسر • تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾.
وفي تفسير الطبري: وحملنا نوحاً إذ التقى الماء على أمر قد قدر، على سفينة ذات ألواح ودسر. والدسر: جمع دسار، وقد يقال في واحدها: دسير، كما يقال: حبيك وحباك. والدسار: المسمار الذي تشد به السفينة، يقال منه: دسرت السفينة إذا شددتها بمسامير أو غيرها.

قرية خربة المسمار في قضاء القدس

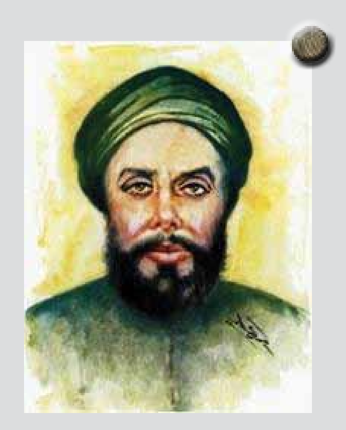


وهي من القرى الافتراضية التي امّحى وجودها الفعلي على خارطة الطريق، وبقيت في أذهان القليل من الأجداد الذين لا يزالون أحياء في زمننا الحالي. وتقع في الجهة الشمالية الغربية من القدس وكانت جزءاً من قرية بيت ثول، والتي يعني اسمها في اللغة الآرامية التل أو الظل. وهي موقع أثري يحتوي على أعمدة وأنقاض تاريخية عديدة، كما أنها أرض زراعية خصبة مليئة بأشجار الزيتون. وبلغ عدد سكانها حتى عام 1945 م مئتين وستين شخصاً. والخربة كان مسمىً يطلق على الأطراف البعيدة للقرية والتي غالباً ما كانت مدخل القرية أو الجزء الأخير منها.





كتاب «المسامير» لعبدالله النديم



يُعدُّ عبد الله النديم من الشخصيات البارزة فكرياً وأدبياً، ونشأ النديم بالإسكندرية ومارس الكتابة منذ صغره حتى تم نفيه إلى الأستانة في عام 1893م، إذ تم على أثر ذلك منعه من الكتابة. وبسبب إقامته الإجبارية في تركيا شحّ عطاؤه الأدبي وتعطّلت مواهبه ومن ثم توقفت، وتحقق لمن نفاه مراده بعد أن سكت عن كل ما طالب به الزجّال الشهير. ولم تكن الأستانة منفى النديم الأول إلا أنها «مسمار» حياته الذي أنجاه من حبل المشنقة، ولم يتم إعدامه بسبب الضغوط الشعبيّة. يافا كانت منفاه الأول بعد أن أثار غضب الخديوي توفيق فأمر بإرساله خارج مصر. وما إن حطّ رحاله في يافا حتّى امتشق لسانه كالسيف في وجه الإنجليز، وشمل في مضمار هجومه السياسة العثمانيّة، ما أثار غضب السلطان بشدّة إلا أنه لم يستطع أن يتجاوز حد النفي حتى لا يثير حفيظة الجماهير الشعبية المتعاطفة مع النديم. ثمّ عرض عليه بعد فترة وجيزة أن يُقيم في الأستانة لكي يخفف من وطأة فورانه ويوظف طاقاته في ديوان المعارف، ليصبح النديم مفتّشاً للمطبوعات في الباب العالي تحت رقابة السلطان وإشرافه. لم يدم عمله طويلاً حتى أثارت حفيظته «مسامير» الدسائس والمكائد في قصر يلدز، ونشبت خصومات عديدة بينه وبين بعض الشخصيات الخبيثة والمقرّبة من السلطان. فوضع كتاب «المسامير» الذي كتبه بأشد أساليب الهجاء في شخصية وتصرفات أبي الهدى الصيادي. وهو أحد رجال الحاشية في بلاط السلطان عبد الحميد العثماني. وكان يسميه النديم «أبا الضلال» ففي مقدمة الكتاب وفصوله التسعة من المسامير أظهر النديم الشيطان كشخصية مهزومة وقليلة الحيلة أمام أبي الضلال، ما جعل الكتاب يُصنّف أحد نفائس فن الهجاء في التاريخ العربي.

كتاب «عدل المسامير»



هو كتاب من نوع مجموعة القصص القصيرة صدر سنة 2005م عن دار الشروق للكاتب خيري شلبي المعروف بتناوله واقع الشارع المصري بروح شعبية أصيلة حتى النخاع، كما أنه معروف بمعرفته الغزيرة وثقافته العالية وتعمقه في دراسة التاريخ الإسلامي.

ولاسم الكتاب معنيان قصدهما المؤلف، فالأول هو ما يعرفه جميع الناس، أمّا الآخر فيعرفه من انتهى من قراءة الكتاب، وهو ما يعني بالعامية المصرية: رتب أو نظم المسامير (عدّل المسامير). ويتناول شلبي في كتابه المفارقات الحياتية العديدة التي تواجه أبطال القصص كالمسامير، فمنهم من يستطيع أن «يعدّلها»، ومنهم من يستسلم لقدره تحت «عدل» المسامير.





رواية:
«الجنقو: مسامير الأرض»

تتمثل قناعات «الجنقو» في استغلال بنيتهم الجسدية في العمل بالمشاريع الزراعية لتوفير المال حتى لو تم استغلالهم. وذلك حتى يحصلوا على الكماليات من زينة وإكسسوارات ويخرجون بها يوم الخميس بكل ثقة عملاً بمثلهم القائل: «خميسك ولو تبيع قميصك». ولم يتغيروا عن قناعاتهم بالرغم من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية العديدة. وتعكس رواية «الجنقو: مسامير الأرض» لمؤلفها الكاتب السوداني «عبدالعزيز بركة ساكن» الأجواء العجيبة لحياة الجنقو، المزارعين في المناطق الحدودية بين السودان وإثيوبيا وأرتيريا. وكيف تكيفوا مع واقع إدخال الآلات الزراعية الحديثة وخسارة المئات منهم لوظائفهم. وبالرغم من كل ذلك فلم تتبدل علاقتهم مع الزراعة والتجوال ومعتقداتهم عن دور المال والنساء.

من جهة أخرى يُعد عبدالعزيز بركة الكاتب والناقد السوداني المعروف الذي فازت روايته «الجنقو: مسامير الأرض» بجائزة الطيب صالح للإبداع الروائي في دورتها لعام 2010م.

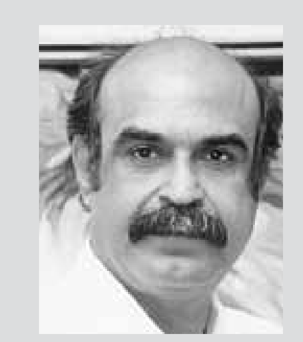




المسمار في الشعر العربي

للمسمار حضور خجول في الشعر العربي، لكنه في الشعر الحديث يغري الشعراء بأن يكونوا مثله أحياناً.. يقول قاسم حداد في نص ساحر:

«كنت القدم العارية كنت شظية القلب الضاري كنت مسمار الباب مارقا زهرة الصدر كنت أسئلة الكهرباء كنت نحيب الأبجدية كنت ميراث الكتب كنت شظف الخبز في العائلة كنت الحديد فاضح الليل كنت عاج العفة تقية التجديف كنت الشهوة الخفيفة كنت التميمة وصمت الناس كنت الدمث».



الشاعر قاسم حداد

بعد نص حداد يتبادر السؤال إلى أذهاننا.. هل نشبه حقاً المسمار كما يقول الشعراء؟ ربما يشبه أفكارنا كما يقول الشاعر السعودي محمد خضر في قصيدته مسمار:

يشبه أفكارنا
تماماً
نحن أصحاب الحل الوحيد
أصحاب الاعتقاد
أن كل شيء
متاح لفك العقدة
أن الارتباط
مسألة شخصية جدا
حتى لو صدئت الأخشاب
التي يسميها الآخرون
مكاناً خصباً لرأس أفكارنا



الشاعر محمد خضر

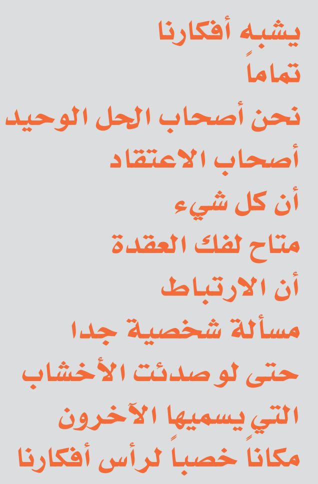
المسمار ليس سيئاً حتى وإن أسقط عليه نزار قباني صفة الجمود حيث قال:

إني خيرتُك فاختاري
ما بينَ الموتَ على صدري..
أو فوقَ دفاتر أشعاري..
اختاري الحبَّ.. أو اللاحبَّ
فجُبنٌ ألا تختاري..
قولي. انفعلي. انفجري
لا تقفي مثل المسمارِ..

ويخالفه محمد الماغوط إذ يرى المسمار غير ذلك، فهو في قصيدة «تكوينات» التي يوجهها إلى يوسف الخال مادحاً، يقول:



الشاعر محمد الماغوط



أنت من احتضنتنا بأسمالنا، وقملنا، وجوعنا، ورعبنا، ودموعنا،
ولسعات السياط على ظهورنا من البلاد التي جئنا منها.
وأعطيت لكل منّا
سقفاً ليقيم..
ورغيفاً ليأكل..
ودفتراً ليكتب..
ووسادة ليحلم..

• • •

نعم أنت المسمار المقتلع من إحدى راحتي سبارتاكوس
لتعلّق لوحة لرفيق شرف الحاي في القدمين بين أعمدة بعلبك
وخرائبها

كثيرة هي قصائد الشعراء التي ذكرت المسمار ضمن كائنات المكان، حيث كان مثيراً للتوظيف والتشبيه في قصائدهم.



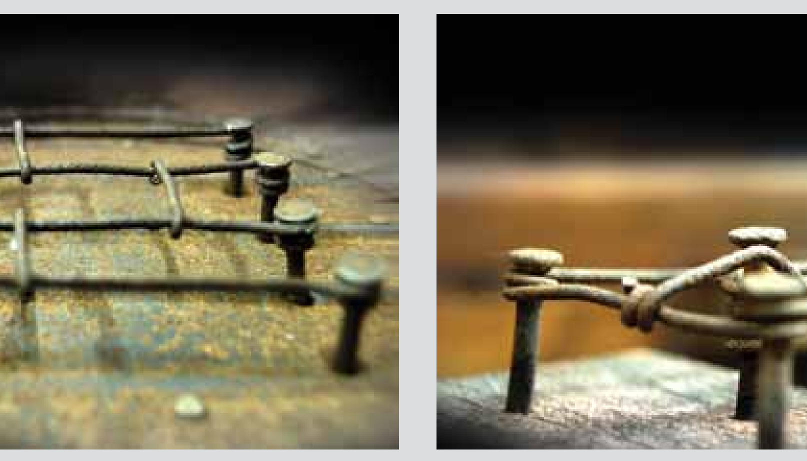


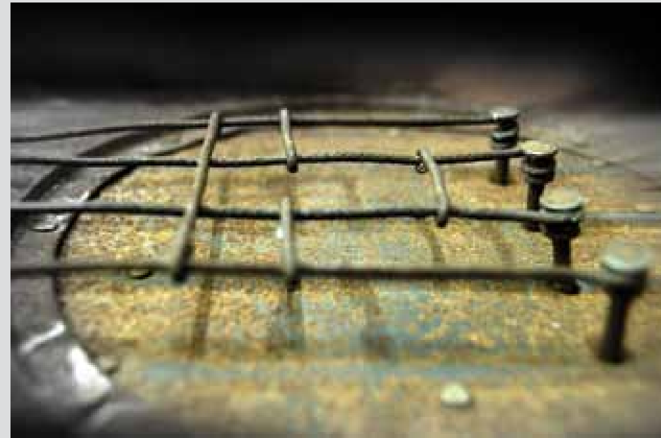





القثامي.. يستنطق المسامير

في عمل سيريالي نفذه الفنان التشكيلي السعودي فهد القثامي عام 2007م، بدت مساميره كأنها شخوص تحكي «حكاية المسامير»، كما أطلق على عمله. بدأ هذا العمل الذي يتكون من أكثر من قطعة عندما وقع بصره بالمصادفة على مسمار يقف مهمشاً في إحدى لوحاته. أبحر الفنان مع هذا الكائن الذي له رأس.. وكأن له كياناً وروحاً، وحياة تشبه حياتنا. من هنا انطلقت حكاية المسامير، حيث جعل كل من يشاهد هذا العمل يتخيل قصة ما: مسمار منغرس حد الموت والكآبة في لوح خشبي، عندما قرر أن ينهض ليكون واحداً من بين المسامير الكثيرة في الحياة، التقى مسماراً أقصر منه، يوحي من طوله ورقته أنها ربما كانت أنثى تمثل شريكة الحياة التي يتمنى.. لكن الحياة قاسية حد الموت، فيدفعان على سكة قطار ليواجها الموت معاً. ربما كانت الحكاية هكذا.. ربما كانت حكاية أخرى.. لكن مما لا شك فيه أن القثامي استنطق المسامير.. وجعل المتلقي يبحر في الحكايات وينسجها.











القافلة

مجلة ثقافية تصدر كل شهرين
عن أرامكو السعودية
نوفمبر - ديسمبر 2011
المجلد 60 العدد 6

ص . ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية
www.saudiaramco.com

